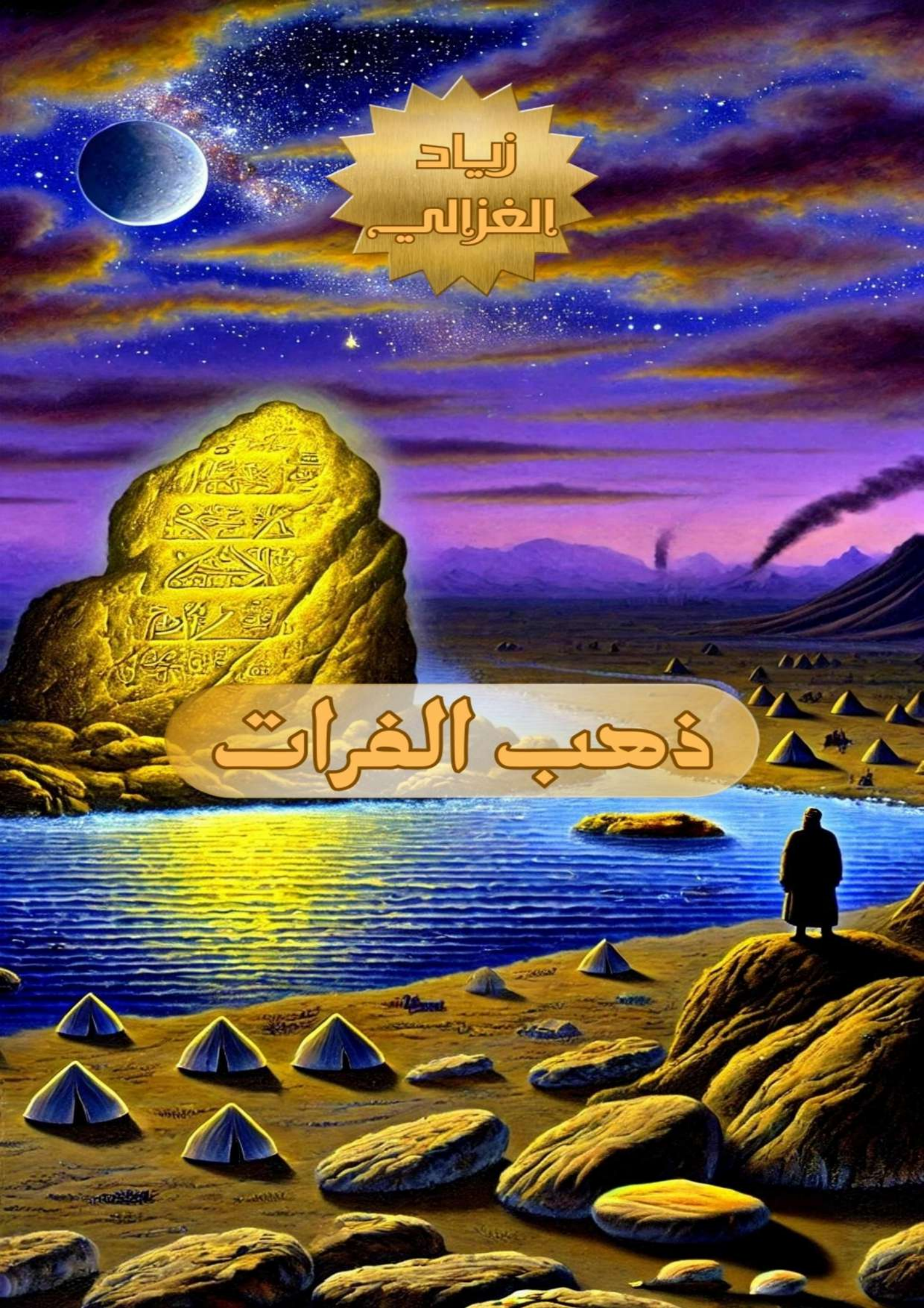
زياد
الغزالي
ذهب الفرات

رواية

ذهب الفرات

تأليف

زياد الغزالي

الفصل التمهيدي:

في قلب بلاد سومر القديمة، قبل آلاف السنين، حين كان الزمن لا يزال يشكل معالمه الأولى، وحيث كانت الحضارة ترسم خطوطها البدائية على صفحة التاريخ، بزغت سومر كجوهرة مشعة على ضفاف دجلة والفرات، لتكون مهد الإنسانية ومهد الحضارات. في تلك الحقبة الزمنية، كانت الأرض تبدو أكثر نقاءً، وأكثر ارتباطًا بالسماء، حيث تتشابك الطبيعة مع الإنسان في علاقة مقدسة، تحمل في طياتها أسرار الكون وقوى خفية تتجاوز إدراك البشر. كانت الأمطار تهطل بسخاء على تلك الأرض الخصبة، تغذي تربتها بقطرات نقية، وكأنها دموع الآلهة تنساب برفق على وجوه الأنهار.

في هذا الزمان البعيد، كانت سومر تنبض بالحياة على وقع موسيقى الطبيعة المتناغمة، حيث كانت الأنهار تجري ببطء وثبات، حاملة معها رسائل من الآلهة وقصص الأجداد. ومع أولى خيوط الفجر، كانت المدينة تستيقظ من سباتها الليلي، تتنفس مع أشعة الشمس التي تتسلل بخفة عبر أوراق النخيل الباسقة، لتملأ الهواء برائحة الأرض المبللة والزهور البرية. على ضفاف النهر، كانت الحقول الخضراء تمتد كبحر لا ينتهي، تتماوج مع نسمات الصباح العذبة، وكأنها ترقص احتفالاً ببداية يوم جديد.

في وسط تلك الحقول الخصبة، كانت المدن السومرية تنمو كأشجار معمرة، تتعالى جدرانها الطينية المزخرفة، شاهدة على عبقرية الإنسان الأولى. لم تكن تلك المدن مجرد تجمعات سكنية، بل كانت عوالم قائمة بذاتها، مراكز للعلم والفن والروحانية، حيث يلتقي الإنسان بالآلهة في معابدهم المقدسة. كانت الزقورات ترتفع في وسط المدينة كأبراج تلامس

السماء، تتدرج في ارتفاعها من قاعدة عريضة ترتكز على الأرض إلى قمة ضيقة تحلق نحو الأعالي، لتكون رمزاً للصلة بين الأرض والسماء. كل طابق من تلك الزقورات كان يمثل عالماً منفصلاً، يحمل في جدرانه نقوشاً معقدة تصور مشاهد من الحياة اليومية، من حرث الأرض وزراعة الحقول، إلى الطقوس الدينية وتقديم القرابين.

على جدران تلك المعابد، كانت النقوش تخبر قصصاً من الماضي، قصصاً عن خلق الكون وعن الحروب والأساطير، عن الآلهة التي حكمت السماء والأرض. كانت تلك النقوش محفورة بأيدي الكهنة والحرفيين، تمثل مشاهد مليئة بالتفاصيل الدقيقة، حيث يظهر الملوك وهم يقدمون القرابين، والكهنة وهم يتلون التراتيل، والجنود وهم يخوضون المعارك دفاعاً عن مدينتهم. كان كل نقش يحمل معنى، وكل رمز يمثل جزءاً من أسطورة أكبر، تحكي عن علاقة الإنسان بالآلهة وعن المصير الذي ينتظر من يجرؤ على تحدي الإرادة السماوية.

وفي المعابد، كانت رائحة البخور تعطر الهواء، تخالطها رائحة الطيب والصمغ العربي، حيث تتصاعد الأدخنة من المباخر المذهبة، لترتفع إلى السماء كرسائل تحمل أحلام الناس وأمانيهم إلى الآلهة في عروشهم البعيدة. كانت التراتيل السومرية القديمة تصدح في أرجاء المدينة مع بزوغ الفجر، كلماتها تغمر القلوب بالسلام والطمأنينة، تدعو للرخاء والحماية من قوى الشر. كان السومريون يؤمنون بأن لكل شيء في هذا الكون روحاً، بدءاً من المياه الجارية إلى الرياح التي تهب على الحقول، وأن تلك الأرواح تتواصل مع الآلهة لتضمن التوازن والانسجام في الحياة.

وفي الأسواق التي كانت تعج بالحركة، كانت الحياة تأخذ شكلها اليومي، حيث يجتمع الناس من كل حدب وصوب، يحملون بضائعهم

وأحلامهم، يتبادلون السلع والأخبار. كانت الأسواق في سومر تشبه خلية نحل لا تهدأ، تمتزج فيها الألوان والروائح والأصوات، من أصوات الباعة وهم ينادون على بضائعهم، إلى هدير الماشية التي تجلب من الريف، ومن رائحة الفواكه المجففة والتوابل التي تفوح من الأكشاك، إلى عطر الزيوت والعطور التي تأتي من بلاد بعيدة. كانت الأحاديث تدور بين الناس عن الرحلات التجارية التي تحملهم إلى أقاصي الأرض، وعن الأساطير التي تروى حول جبل من ذهب، يقال إنه يخفي في أعماقه قوة عظيمة لا يدركها إلا من نال رضا الآلهة.

وفي تلك الأزقة المزدحمة، كانت النساء السومريات يسيرن بثيابهن المطرزة بالذهب والفضة، يحملن الجرار على رؤوسهن، يتجهن نحو النهر لملء الجرار بمياهه المقدسة. كان النهر بالنسبة لهم شريان الحياة، يمدهم بالماء العذب الذي يستخدم في الشرب والري والطقوس الدينية. كان الأطفال يركضون في الأزقة الضيقة، يضحكون ويلعبون، يبتكرون ألعاباً بسيطة من الطين والخشب، مقلدين الكبار في أعمالهم اليومية.

ومع غروب الشمس، كانت المدينة تتحول، تستسلم لهدوء الليل، حيث تتلاشى ضوضاء النهار، لتحل محلها همسات الليل وأصوات الطبيعة التي تعيد السكون إلى المكان. كان الليل في سومر زمناً للتأمل والتفكر، حيث يجتمع أفراد العائلة حول النيران، يستمعون إلى القصص والأساطير التي ترويها الجدات، قصص عن الآلهة وعن العوالم الأخرى، وعن الجبل الذهبي الذي كان يشغل خيال الجميع. كان هذا الجبل، الذي يُقال إنه كان هدية من الآلهة، يعتبر رمزاً للغموض والقوة. لم يكن مرئياً للجميع، بل كان يظهر فقط لأولئك الذين يمتلكون قلباً نقياً وإيماناً صادقاً. كان يُعتقد أن الجبل يخفي في داخله سراً عظيماً، وأن من يحاول اكتشافه دون أن يكون مستعداً لذلك سيواجه غضب الآلهة.

كان هذا الجبل محاطاً بهالة من القداسة، تحرسه أرواح خفية، ترقب كل من يقترب منه، تميز بين من جاء بنية صافية ومن جاء بدافع الجشع. كان يُحكى أن الآلهة، بعد أن لاحظت تفشي الطمع بين البشر، قررت إخفاء الجبل بعيداً عن الأنظار، تاركة إياه كاختبار لمن يسعى وراء القوة. وكان السومريون، رغم حبهم للثروة، يدركون أن هناك أشياء في هذا العالم لا يجب العبث بها، أن هناك قوى تتجاوز حدود المعرفة البشرية، وأن احترام تلك القوى هو السبيل الوحيد للحفاظ على التوازن في الكون.

في هذا الزمان السحيق، كانت سومر تعيش في تناغم مع نفسها ومع الآلهة، مدينة خالدة في ذاكرة الزمن، تحمل في طياتها أسرار الكون وحكمة العصور. كانت كل حجر وكل جدار في تلك المدينة يحمل بصمة من الماضي، كل نسمة هواء تحمل معها قصة من قصص الأجداد. كانت سومر تعرف أن قوتها الحقيقية لا تكمن في الذهب أو الثروة، بل في الفهم العميق للعلاقة بين الإنسان والكون، وفي الإيمان بالقوى التي تحكم هذا العالم.

كان الإنسان في سومر يعيش حياته مدركاً لتلك القوى، يحاول أن يسير وفقاً لإرادة الآلهة، يحترم الطبيعة ويخاف من غضبها. كان يعلم أن كل فعل يقوم به يمكن أن يكون له عواقب، ليس فقط في حياته الشخصية، بل في حياة المجتمع ككل. وفي هذا الإطار، كانت الأساطير تلعب دوراً حيوياً، تحكي عن العوالم الأخرى وعن القوى التي تحرك الكون من وراء الستار.

في قلب تلك الأساطير، كان الجبل الذهبي يبرز كرمز لكل ما هو غامض وقوي. كان الجبل يمثل الصلة بين الأرض والسماء، بين الإنسان والآلهة، وكان يرمز إلى القوة التي يمكن أن تكون بناءة أو مدمرة، اعتماداً

على كيفية استخدامها. كان الجبل يحمل في داخله سرّاً عظيماً، سرّاً يتجاوز حدود المعرفة البشرية، ويختبر إيمان كل من يحاول اكتشافه.

في هذا الزمان، كانت سومر تبدو كمدينة خالدة، لا تفنى بمرور الزمن، تحمل في طياتها أسرار الكون والحياة، تنتظر أن تُروى قصتها من جديد، وأن تُكتشف معانيها وأسرارها من قبل من يجرؤ على النظر إلى ما وراء الظاهر، إلى عمق الأشياء، إلى تلك القوى التي تحرك العالم من الظل. كانت سومر مدينة تعيش في ذاكرة الزمن، تحمل رسالة من الماضي إلى المستقبل، رسالة تحكي عن القوة والجشع، عن الإيمان والحكمة، وعن العلاقة المعقدة بين الإنسان والكون.

في ظلال معبد الزقورة العظيم، حيث تتراقص ألسنة اللهب على جدران مزخرفة بأقدم رموز الحضارة، وقف الكاهن الأكبر، رجل منحته السنون حكمة الآلهة، عينيه الغائرتين تشعان بنور المعرفة التي تراكمت عبر الأجيال. كان الكاهن يرتدي عباءة بيضاء مزينة بأطياف من الذهب والفضة، تلامس الأرض برفق، وكأنها تربط بين عالم البشر وعالم الآلهة. وقف الحاكم المحلي إلى جانبه، رجل قوي الملامح، تتأرجح في عينيه نظرات القلق والتساؤل، وكأنه يشعر بثقل ما سيُروى على مسامعه.

كان الليل قد أرخى سدوله على المدينة، والنجوم تلمع في سماء صافية، تكاد تقترب من الأرض، وكأنها تراقب عن كثب ما يدور في قلوب البشر. في تلك اللحظة الساكنة، حيث كان النسيم يحمل معه عبق البخور من داخل المعبد، انحنى الكاهن قليلاً نحو الحاكم، وبدأ يسرد تلك القصة القديمة، قصة جبل ذهبي تخبئه الأرض، جبل كان ذات يوم مصدر قوة عظيمة، وهدية من الآلهة لشعب سومر.

بصوت خافت، ملؤه الرهبة، بدأ الكاهن يتحدث عن ذلك اليوم البعيد، حين كانت الآلهة تسير بين البشر، تقدم لهم الهدايا والإرشاد. في ذلك الزمان، كانت

سومر تنعم برخاء لا مثيل له، أرض خضراء، تفيض بالخير والبركات، وناسها يعيشون بتناغم مع قوى الكون. كانت الآلهة راضية عن شعب سومر، وقررت منحهم هدية غير عادية، هدية تحمل في طياتها قوة تجعلهم قادرين على حماية مدينتهم من كل شر، قوة تتجاوز حدود المعرفة البشرية، وتصل إلى جوهر الكون ذاته.

****

في ليلة لا تُنسى، نزلت الآلهة إلى الأرض، واختارت بقعة مقدسة بعناية فائقة. كان المكان يقع بين جبال بعيدة، تحيط بها الأنهار من كل جانب، كأنما كانت تحميها من الأعين الطامعة. هناك، غرست الآلهة جبلاً من الذهب النقي، يلمع تحت ضوء الشمس كأنه شمس صغيرة أخرى هبطت من السماء. كان الجبل يملك طاقة هائلة، قادرة على جلب الخير والسلام لكل من يقترب منه بقلب نقي وروح طاهرة. .

في البداية، كان الجبل رمزاً للخير والعدالة. كان الكهنة يقودون الناس في طقوس مقدسة، يقدمون القرابين في قمة الجبل، يرفعون أيديهم نحو السماء، يدعون للرخاء والسلام. كان الجميع يعرفون أن الجبل ليس مجرد كتلة من الذهب، بل كان يعكس قوة الآلهة، وجزءًا من روحها المقدسة التي انصهرت في أعماق الأرض. كانت الأمطار تهطل بغزارة على الحقول المجاورة، وتفيض الأنهار بالحياة، وكل شيء كان يشير إلى أن الآلهة كانت راضية. .

لكن كما يحدث دائماً مع البشر، بدأ الطمع يجد طريقه إلى قلوب البعض. كانت همسات خافتة تتردد بين التجار والمحاربين، بين النبلاء وحتى بعض الكهنة الأصغر سناً، عن الكنز المخفي داخل الجبل. كانت الأساطير تتحدث عن الذهب الذي يمكن أن يملأ الخزائن، عن القوة التي يمكن أن تُكتسب إذا ما تم استخراج هذا المعدن الثمين. بدأت الرغبة في امتلاك الجبل تتحول إلى هوس، يغذيها الجشع والطموح الأعمى.

لاحظت الآلهة ما يحدث في قلوب البشر، وكيف أن النقاء الذي كان يميز شعب سومر بدأ يتلاشى، لتحل محله الرغبات الدنيوية. كانت الآلهة قد منحت الجبل كاختبار، وكفرصة ليبرهن البشر على قدرتهم على استخدام القوة بحكمة وعدل. لكن ما رآه الآلهة كان مخيباً للآمال. بدأ الجبل يتحول من رمز للسلام إلى محور صراع، وبدأت المدينة التي كانت تنعم بالرخاء تنقسم إلى فصائل متناحرة، كل منها يسعى للسيطرة على الجبل بأي ثمن.

عندها، قررت الآلهة أن الوقت قد حان للتدخل. في ليلة عاصفة، حيث كانت الرياح تهب بشدة، والأمطار تنهمر كأنها تريد تطهير الأرض من خطايا البشر، نزلت الآلهة مرة أخرى إلى الأرض. كانت السماء تتلألأ بالبرق والرعد، وكأنها تعبر عن غضب الآلهة من خيانة البشر للثقة التي مُنحت لهم. اجتمع الكهنة في معبد الزقورة، حيث ساد الصمت المهيب، وكأنهم كانوا ينتظرون حكماً لا مفر منه.

ظهر أمامهم صوت الآلهة، صوت عميق وقوي، يملأ المكان بهيبة لا توصف. كان الصوت يتحدث عن خيبة الأمل، وعن الجشع الذي أعمى قلوب البشر، وعن القوة التي لم تعد آمنة بين أيديهم. أخبر الصوت الكهنة بأن الجبل، بما يحمله من قوة، يجب أن يختفي، أن يُخبأ بعيداً عن أعين الطامعين، حتى لا يتحول إلى أداة للدمار. كان القرار قد اتخذ: الجبل الذهبي سيُدفن في أعماق الأرض، ليصبح غير مرئي إلا لأولئك الذين يستطيعون أن يثبتوا نقاء قلوبهم.

وبالفعل، في تلك الليلة، حدث ما لم يكن في الحسبان. بدأت الأرض تهتز تحت أقدام أهل سومر، وكأنها تستجيب لأمر الآلهة. بدأ الجبل يختفي ببطء، يغوص في باطن الأرض، حتى لم يبق منه سوى لمحة خافتة في ضوء القمر. كان المشهد مرعباً ومهيباً في آن واحد. لم يكن أحد يتوقع أن يحدث هذا، ولكن الجميع أدركوا أن الآلهة كانت جادة في تحذيرها. تحول الجبل الذهبي من كتلة مادية إلى أسطورة، قصة تُروى في الليالي الطويلة، تذكير للبشر بأن القوة لا تمنح إلا لمن يستحقها.

منذ ذلك الحين، أصبحت قصة الجبل الذهبي جزءاً من تراث سومر، تنتقل من جيل إلى جيل، ليس فقط كتذكير بما حدث، ولكن كتحذير مما يمكن أن يحدث إذا تُرك الجشع ليحكم القلوب. كان الكهنة يتناقلون هذه القصة بحرص شديد، يعرفون أن في كل جيل سيأتي من يحاول البحث عن الجبل، ولكنهم كانوا يأملون أن يتعلم الناس من أخطاء الماضي، وأن يدركوا أن القوة الحقيقية لا تأتي من الذهب أو الثروة، بل من النقاء الداخلي والعدل.

كان الكاهن الأكبر، وهو يروي هذه القصة للحاكم المحلي، ينظر في عينيه بعمق، وكأنه يبحث عن علامة تدل على الفهم والإدراك. كان الحاكم يستمع بصمت، ووجهه يتغير بين لحظة وأخرى، تارةً يظهر عليه الانبهار من عظمة ما يسمع، وتارةً أخرى يبدو عليه القلق من احتمال تكرار الخطايا القديمة. لم يكن الحاكم شخصاً عادياً؛ كان يعرف أنه يحمل على عاتقه مسؤولية كبيرة، وأن عليه أن يقرر بحكمة كيف سيستخدم المعلومات التي سمعها للتو.

في نهاية السرد، تنهد الكاهن بعمق، وكأنما أفرغ من داخله حملاً ثقيلاً. كان يعلم أن هذه القصة ليست مجرد أسطورة، بل درسٌ في الحياة، رسالة من الآلهة للبشر، لتحذيرهم من مخاطر الطمع والجشع. كان الكاهن يدرك أن هذه القصة قد تكون مفتاحاً لفهم ما يجري في العالم من حولهم، وكيف يمكنهم تجنب الكوارث التي قد تأتي إذا لم يتعلموا من الماضي.

نظر الحاكم إلى الكاهن بشكر وامتنان، وأخبره أنه سيأخذ هذه القصة بعين الاعتبار في قراراته المستقبلية. كان يعلم أن القوة ليست شيئاً يُستهان به، وأن هناك ثمنًا لكل شيء في هذا العالم. وأدرك أن حماية شعبه تتطلب منه أن يكون حكيماً، وأن يتجنب الوقوع في فخ الطمع الذي أسقط أمماً من قبله.

وفيما غادر الحاكم المعبد، بقي الكاهن في مكانه، ينظر إلى السماء عبر النافذة الضيقة. كان يشعر براحة غامرة، إذ كان يعلم أن رسالته قد وصلت، وأنه قد أدى واجبه تجاه الآلهة وشعبه. كان يعلم أن الجبل الذهبي سيبقى مختبئاً في أعماق الأرض، حتى يأتي من يستحق اكتشافه، من يملك النقاء الداخلي

والرغبة في تحقيق الخير للجميع، وليس فقط لنفسه. في تلك اللحظة، شعر الكاهن بأن دوره في هذه الحياة قد اكتمل، وأنه يمكنه أن يغادر هذا العالم بسلام، تاركاً وراءه إرثاً من الحكمة والقصص التي ستحملها الأجيال القادمة.

****

في قلب بغداد العباسية، حيث كانت المدينة تتلألأ تحت ضوء القمر كجوهرة مشعة في ظلام الليل، وتنتشر الأضواء في شوارعها من المصابيح الزيتية المعلقة على الجدران، كانت الحكايات والأساطير تتدفق في المجالس، مثل دجلة وهي تشق طريقها بثبات نحو البحر. تلك الليالي كانت تشهد ولادة القصص التي ستعيش لآلاف السنين، وتظل محفورة في ذاكرة البشر. وكانت حكايات "ألف ليلة وليلة" تتصدر المشهد، حيث يجتمع الرجال والنساء في قاعات القصور، يستمعون إلى الحكايات التي تسردها شهرزاد بحكمة وذكاء، محاولةً إبعاد شبح الموت عنها بحبكة قصصها.

في تلك الأوقات، كان الخليفة هارون الرشيد يجلس على عرشه، محاطًا بوزرائه وحاشيته، مستمتعًا بالقصص التي تُروى له في أمسياته الطويلة. كان هارون الرشيد رجلاً ذا خيال واسع، يُسحره كل ما يتعلق بالأسرار والغموض، وكان يطلب من رواة القصص أن يأتوا بأغرب وأعجب الحكايات ليملأوا لياليه بالدهشة والتأمل. في إحدى تلك الليالي، عندما كانت الرياح تعصف في الخارج، متلاعبةً بأشجار النخيل، جلس الخليفة في قصره الفخم، يستمع بشغف إلى رواة القصص.

كان الرواة يتنافسون لإرضاء الخليفة، يسردون حكايات عن الجن والمخلوقات السحرية، وعن الكنوز المدفونة في أماكن نائية، وعن مغامرات الفرسان والبحارة. لكن في تلك الليلة، كان هناك راوي قصص قديم، رجل عركته السنين، وملأت التجاعيد وجهه كأنه نقش على جدار قديم. كان هذا الراوي يحمل في قلبه قصة غامضة، قصة لم تُروَ إلا لقلّة قليلة، قصة تسرد عن جبل ذهبي اختفى في قلب الأرض منذ زمن بعيد، وكان يُقال إنه يحمل قوة لا مثيل لها.

بدأ الراوي قصته بصوت خافت، يكاد يكون همسًا، كأنه يخشى أن يسمعه أحد غير الخليفة. "يا مولاي"، قال الراوي، "في زمن بعيد، قبل أن تكون بغداد عاصمة الخلافة، في أرض بعيدة تسقيها الأنهار، وتحت شمس لا تغيب، كان هناك جبل من ذهب. لم يكن هذا الجبل مجرد كومة من المعدن الثمين، بل كان هدية من الآلهة للبشر. كان يحمل في طياته قوة عظيمة، قادرة على تغيير مصير الأمم".

صمت الراوي للحظة، ونظر في عيني الخليفة، فرأى فيهما بريق الاهتمام والفضول. تابع الراوي، "كان هذا الجبل في أرض تسمى سومر، حيث كان الناس يعيشون بتناغم مع الطبيعة والآلهة. ولكن، كما يحدث دائماً، تسلل الجشع إلى قلوب البشر. بدأوا يتصارعون للسيطرة على الجبل، معتقدين أن الذهب يمكن أن يمنحهم السلطة التي كانوا يطمحون إليها. ولما رأت الآلهة ما يحدث، قررت أن تُخفي الجبل بعيداً عن أنظار الطامعين. في ليلة عاصفة، تحت ضوء قمر شاحب، اختفى الجبل في باطن الأرض، ولم يعد يُرى منذ ذلك الحين".

أخذ الراوي نفسًا عميقًا، وأضاف، "لكن القصة لم تنته هنا، يا مولاي. لقد ظلت هذه الحكاية تعيش في ذاكرة الناس، تنتقل منَ جيل إلى جيل،

حتى وصلت إلى بغداد، حيث أصبحت جزءاً من حكايات ألف ليلة وليلة. كان الناس يروونها في الليالي الطويلة، يعتقدون أن من يجد الجبل سيملك القوة التي ستجعله يسيطر على العالم. لكن الحكاية تحمل في طياتها تحذيراً؛ فقد كانت الآلهة قد أخفت الجبل لأنه لم يكن من نصيب الطامعين، بل لأولئك الذين يملكون قلبًا نقيًا وإيمانًا صادقًا".

استمع هارون الرشيد لهذه القصة بتمعن، وقد غمره إحساس بالغموض والإثارة. كان يعلم أن بغداد كانت مركزًا للتجارة والمعرفة، وأنها جمعت بين جنباتها حكم الشرق والغرب. ولكنه لم يكن يعلم أن بين هذه الحكم تكمن أسطورة قديمة، أسطورة تعود إلى زمن السومريين، وتشير إلى جبل ذهبي يحمل في داخله سر القوة التي يمكن أن تغير مجرى التاريخ.

مع مرور الليالي، بدأت هذه القصة تتغلغل في حكايات ألف ليلة وليلة، حيث أعادت شهرزاد صياغتها بطريقتها الخاصة، ممزوجة بالحكمة والدروس التي تهدف إلى تعليم الخليفة ومعرفته بأهمية التواضع والنقاء في الحكم. أصبحت القصة تُروى للأطفال قبل نومهم، وتحكيها الأمهات في أمسيات الشتاء الباردة، وهي تحكى عن ملوك وجنود ورجال شجعان، يسعون وراء الجبل الذهبي، ليكتشفوا في النهاية أن الجبل كان اختباراً للإيمان والفضيلة، وليس للسلطة والثروة.

لكن، رغم تحذيرات الأسطورة، ظل الجبل يثير في قلوب البشر رغبة غامضة لا تنطفئ. كان الناس في بغداد يتحدثون عن الجبل في الأسواق، بين الفقهاء والعلماء، وحتى في قصور الأمراء. كانت الأسئلة تتوالى: هل الجبل حقيقة أم مجرد خيال؟ هل يمكن العثور عليه؟ وهل يحمل حقًا القوة التي تتحدث عنها الأسطورة؟

وهكذا، أصبحت القصة جزءًا لا يتجزأ من تراث بغداد العباسية، تتردد في مجالس الأدب والعلم، وتختلط بالأساطير الأخرى التي كانت تملأ أذهان الناس. لم تكن مجرد قصة تُروى للترفيه، بل كانت درسًا في الحياة، تحمل في طياتها تحذيرًا من مخاطر الطمع والجشع، وتشدد على أهمية النقاء الداخلي والعدل في كل ما يقوم به الإنسان.

في تلك الفترة، أصبح الجبل الذهبي رمزًا للأحلام والطموحات البشرية. كانت القصة تُروى بحذر، حيث كان الناس يخشون أن تُثير في قلوب المستمعين رغبة في البحث عن الجبل، ولكنها كانت أيضًا تذكرهم بأن القوة الحقيقية لا تأتي من الخارج، بل من الداخل، من القدرة على التحكم في النفس والعيش وفقًا للقيم التي تؤمن بها.

ومع مرور الزمن، اندمجت الأسطورة مع الواقع، فأصبحت جزءًا من نسيج الحياة اليومية في بغداد. كان الحجاج والتجار الذين يمرون عبر المدينة يحملون معهم حكايات الجبل إلى بلدانهم، لينتشر تأثير الأسطورة في أرجاء العالم الإسلامي. تحولت القصة من مجرد حكاية تُروى في ليالي الشتاء إلى جزء من التراث الثقافي للعالم الإسلامي، محملة بالحكمة التي تعلمتها الأجيال السابقة، وموجهة للأجيال القادمة.

لكن، على الرغم من انتشار القصة وتكرارها عبر الأجيال، لم يفقد الجبل الغامض سحره. بقي الجبل الذهبي مخفيًا في مكان ما، ينتظر من يستحق اكتشافه، من يحمل في قلبه نقاءً يكفي ليفهم الرسالة الحقيقية التي أرادتها الآلهة. وهكذا، ظلت القصة حية في قلوب الناس، ترشدهم في حياتهم، وتذكرهم دائمًا بأن القوة الحقيقية لا تُكتسب بالذهب، بل بالإيمان والعدل.

وفي نهاية الأمر، عندما كان الخليفة هارون الرشيد يجلس بمفرده في حدائق قصره، ويتأمل في تلك الليالي الطويلة التي ملأتها الحكايات، كان يتذكر دائماً تلك القصة الغامضة عن الجبل الذهبي. كان يعلم في أعماق قلبه أن بغداد، بثرائها وحكمتها، تحمل في طياتها القدرة على اكتشاف ذلك الجبل، ليس في الواقع، بل في نفوس الناس الذين يعيشون فيها. فهم الخليفة أن حكمه يعتمد على تلك القيم التي تجسدها القصة، وأن القوة الحقيقية لحكم بغداد لا تكمن في الذهب أو الجيوش، بل في الحكمة والعدل اللذين يمارسهما في كل قرار يتخذه.

وهكذا، بقيت القصة محفورة في ذاكرة بغداد، تتردد في أزقتها الضيقة، وتتحرك في همسات الرياح التي تعبر فوق أسوار المدينة. كانت القصة رمزًا للأمل والخوف، للفضيلة والطموح، تتراقص في عقول الناس كالنور الذي يخترق الظلام، تضيء لهم الطريق، وتذكرهم دائمًا بأن الجبل الذهبي لم يكن يومًا كنزًا ماديًا، بل كان اختباراً للروح، وتجسيدًا لقوة الإيمان والعقل.

القسم الأول: الاكتشاف

على ضفاف الفرات، في جنوب العراق، كان الوقت يمر ببطء بينما الليل يستعد لوداع طويل، يفسح المجال لفجر جديد يعلن بداية يوم مختلف. كانت السماء لا تزال مظلمة، تحتضنها نجوم متناثرة، وكأنها نقاط من نور ترشد العابرين عبر الزمن. كان الهواء يحمل برودة لطيفة، مشبعة برائحة الأرض التي تنتظر عناق الشمس. كانت هذه اللحظات التي تسبق الشروق تحمل في طياتها نوعًا من السحر الغامض، كما لو أن الكون بأسره كان يحبس أنفاسه انتظارًا لحدث عظيم.

كانت الطبيعة في ذلك الوقت من العام تزخر بالحياة، فالربيع قد حل في الأرجاء، يلون الحقول والأشجار بألوان الزهور المتفتحة والأعشاب النضرة. على ضفاف النهر، كانت الزهور البرية تمتد كوشاح من الألوان يلتف حول النهر، تنبثق من كل زاوية، تنبض بالحياة كما لو أنها تعلن عن نفسها في كل صباح جديد. أشجار النخيل كانت تقف شامخة، تعانق الرياح التي تهب من الشمال، تحمل معها رائحة الزهور وعبق التربة التي ابتلت بالندى الليلي. كان الفرات، هذا الشريان الأزلي، يجري بهدوء وثبات، كأنه يحمل في أعماقه قصص الأزمان الغابرة، مستعدًا ليكشف عن سر طال انتظاره.

في هذا المشهد، كانت الطبيعة تتحرك في تزامن متناغم مع الزمن. بدأت السماء تتحول تدريجيًا من الظلام إلى درجات من الأزرق الداكن، ثم إلى ألوان الصباح الأولى التي تغمر الأفق. كان الفجر يأتي ببطء، مثل عازف يعزف نغماته الأولى بحذر، لكن شيئًا ما كان مختلفًا في هذا اليوم. كان الضوء الذي يتسلل من بين الأفق يحمل معه وعدًا بكشف شيء غير

مألوف، كأنه يهمس للنهر والحقول بأن يتأهبوا لحدث لم يشهدوه منذ زمن بعيد.

ومع كل دقيقة تمر، كانت الشمس تتقدم ببطء نحو ظهورها الكامل، ترسل أشعتها الأولى عبر السماء، تلامس سطح الماء الذي بدأ يتغير لونه من الأسود العميق إلى الأزرق الزاهي، ثم إلى الذهبي الفاتن. كانت المياه تستجيب للضوء، تعكسه كالمرآة، تملأ المكان بلمعان يشبه الحلم. في تلك اللحظة، بدأ الفرات يتصرف بطريقة غير معهودة. لم يكن انسيابه الهادئ المعتاد كما كان في الأيام الماضية، بل بدأ يتراجع ببطء غريب، كأنه يتراجع عن حكاية قديمة لم تُروَ بعد، وكأن النهر الذي كان يحتفظ بهذا السر لآلاف السنين، قرر أخيرًا أن يبوح بما في أعماقه.

مع تراجع الماء، بدأت الضفاف التي كانت مخفية عن الأعين منذ قرون تظهر تدريجيًا. كان الطمي القديم الذي تراكم عبر السنين ينكشف، يعيد للوجود أرضًا كانت مخبأة تحت الماء، أرضًا تحكي عن زمن بعيد. الصخور القديمة التي كانت تتراكم على ضفاف النهر بدأت تبرز، مغطاة بطبقات من الطمي والطحالب التي ترسخت عليها عبر العصور، ولكن هناك شيء مختلف بدأ يظهر بين هذه الصخور. شيء يشع بضوء خافت، لكنه مع تزايد الضوء بدأ يكتسب بريقًا يتجاوز بريق الشمس نفسها.

كان الانحسار بطيئًا، لكنه منتظم، وكأن النهر كان يعرف تمامًا ما يفعل. كلما تراجع، كلما كشف عن المزيد من هذا الكيان الغريب الذي بدأ يظهر من بين الصخور. كانت الأرض تبدو وكأنها تتنفس بارتياح بعد أن تخلصت من عبء الماء، وكان الجبل الذهبي الذي بدأ يظهر شيئًا فشيئًا كأنه ينبض بالحياة. كان يبدو أنه مصنوع من ضوء الشمس ذاته، يتوهج

بكل ألوان الذهب، يعكس أشعة الفجر كأنه قطعة من السماء سقطت إلى الأرض.

وفيما الشمس تواصل صعودها في السماء، كان الجبل الذهبي يكشف عن نفسه أكثر فأكثر. كان يتخذ شكلاً متماسكًا، كيانًا واحدًا من الضوء الصافي، يقف شامخًا وسط ضفاف النهر، وكأنه كان هناك منذ الأزل، ينتظر اللحظة المناسبة ليعود إلى الظهور. لم يكن هذا الجبل مجرد تكوين صخري، بل كان يحمل في طياته شيئًا أكبر من ذلك، قوة لم يشعر بها أحد من قبل، قوة كانت مختبئة في أعماق الأرض تنتظر اللحظة المناسبة لتخرج إلى النور.

كانت الطبيعة من حول الجبل تستجيب لهذا الظهور الغامض. بدأت الطيور التي كانت تغني في الصباح الباكر تصمت فجأة، وكأنها تشعر بهيبة اللحظة. الرياح التي كانت تهب برفق توقفت للحظات، وكأنها تتراجع أمام هذا الجبل الذي ينبعث منه شعور بالقوة والجلال. حتى الأشجار، بأوراقها المتمايلة، بدت وكأنها تحبس أنفاسها، ترقب ما يحدث بحذر واحترام.

وفي تلك اللحظة، كان الزمن نفسه يبدو وكأنه قد توقف. كل شيء كان ينتظر، كان الفرات قد توقف عن الانحسار، والجبل قد كشف عن كامل عظمته. كان مشهدًا يفوق الخيال، جبل من الذهب يتلألأ تحت ضوء الشمس، يقف في قلب النهر، يلمع كأنه من صنع الآلهة. كانت الصخور المحيطة به تضاء بنوره، وتحمل علامات من حضارات قديمة، كأنها تشهد على مرور الزمن وتعيد إحياء ما كان قد نُسي.

لكن مع كل هذا الجمال والجلال، كان هناك شعور غامض يسري في الأجواء. لم يكن الجبل مجرد قطعة من المعدن الثمين، بل كان يحمل في

داخله شيئًا أكثر تعقيدًا. كان هناك إحساس بأن هذا الظهور لم يكن مجرد صدفة، بل كان حدثًا قد خطط له الزمن بعناية. الجبل الذهبي كان ينذر بأن ما سيأتي قد لا يكون فقط كنزًا ماديًا، بل اختبارًا للبشرية، اختبارًا للقدرة على التعامل مع القوة بحكمة وعدل.

وفيما بدأ النهار يتقدم، وبدأت الحياة تعود تدريجيًا إلى ضفاف الفرات، كان الجبل الذهبي يقف هناك، شاهدًا على بداية قصة جديدة، قصة تتشابك فيها خيوط الماضي بالحاضر، وتتداخل فيها الأساطير مع الواقع. كان الجبل يرمز إلى كل ما هو ممكن وما هو مستحيل، إلى التحدي الذي يواجه الإنسان في كل زمان ومكان، تحدي التعامل مع القوة، مع المعرفة، ومع الرغبة في السيطرة على ما لا يمكن السيطرة عليه.

كانت هذه اللحظة، في ضوء الفجر وعلى ضفاف الفرات، أكثر من مجرد انكشاف لجبل مخفي. كانت إيذانًا ببداية زمن جديد، زمن يحمل في طياته وعدًا بالمغامرة، بالخطر، وبالإمكانية التي تجعل الإنسان يتساءل عن حدود قدراته. كان الفرات، الذي شهد على ولادة هذه اللحظة، يجري الآن بهدوء، كأنه يراقب من بعيد، يختزن في أعماقه ما سيحدث بعد ذلك. أما الجبل، فظل يقف هناك، مشعًا بنوره الذهبي، ينتظر من سيأتي ليكتشف أسراره، ويواجه التحدي الذي يطرحه على العالم بأسره.

****

على ضفاف الفرات، في تلك اللحظات التي كانت تبدو وكأنها مشحونة بسحر خفي، كان الناس في القرية يعيشون يومهم العادي. كانت الشمس في بدايات شروقها، ترسل أشعتها الذهبية عبر الأفق، تنساب برفق على صفحة الماء الهادئ، وتنعكس على الحقول المحيطة بالنهر. لم يكن هناك ما يشير إلى أن هذا اليوم سيحمل معه حدثًا غير مألوف، لكن في عمق نفوسهم، كان السكان يشعرون بشيء غريب، كأن الطبيعة نفسها تحتبس أنفاسها في انتظار شيء مجهول.

بدأت المياه تتراجع ببطء، وكان النهر الذي طالما جرى بلا كلل يبدو وكأنه ينسحب نحو مصدر غامض، يفتح الطريق أمام كشف لم يتوقعه أحد. في البداية، لم يلحظ أحد ما كان يحدث. كان السكان مَنشغلين بأعمالهم اليومية، يحرثون الأرض، يروون المحاصيل، ويتبادلون الأحاديث العادية. لكن تدريجيًا، ومع استمرار التراجع غير المعتاد لمستوى الماء، بدأت الأعين تتوجه نحو النهر. كان هناك شيء غريب في هذا التراجع، شيء لم يكن طبيعيًا بأي حال.

بينما كان الماء ينحسر، بدأت الأرض المخفية تحت سطح النهر بالظهور، وكأنها تستعيد مكانتها بعد غياب طويل. كانت الصخور القديمة تبرز من الطمي، مغطاة بطبقات من الأعشاب المائية والطحالب التي ترسخت عليها عبر العصور. لكن ما لفت انتباه السكان وأثار دهشتهم هو ما كان يظهر بين هذه الصخور: قمة جبلية تتلألأ بلون ذهبي لم يعهدوه من قبل.

في البداية، كان السكان يحدقون في المشهد بذهول. كان الجبل يبدو وكأنه ينبثق من عمق النهر، يتسلق ببطء نحو السماء، وكأنه يستعيد مكانته الطبيعية. كان لمعانه يزداد مع كل لحظة، يعكس أشعة الشمس بألوان ذهبية ناصعة، تكاد تعمي الأبصار. انتشر بين الناس شعور غامر بالرهبة

والتوتر، إذ لم يكن هذا مجرد تغير طبيعي في مستوى النهر. كان هناك شيء يتجاوز حدود الفهم البشري، شيء أعمق من أن يكون مجرد ظاهرة جيولوجية.

وقف الناس على ضفاف النهر، يراقبون هذا المشهد الغريب، وأفكارهم تتلاطم بين الذهول والرهبة. كان البعض يهمس بأن ما يرونه هو علامة من السماء، بينما حاول آخرون طمأنة أنفسهم بأن الأمر مجرد ظاهرة طبيعية ستنتهي قريبًا. لكن القلق كان يتزايد في قلوبهم، فقد كانت الأساطير القديمة التي سمعوها في طفولتهم عن الجبل الذهبي تعود الآن لتتردد في عقولهم، كأنها تحذير من شيء خطير.

وبينما كان الجبل يستمر في الظهور، بدأت الطبيعة من حوله تتغير. توقفت الطيور عن الغناء، وبدأت تحوم بحذر حول الجبل، كما لو أنها تخشى الاقتراب منه. الرياح التي كانت تهب برفق توقفت فجأة، وكأنها تراقب ما يحدث بترقب. حتى الأشجار، بأوراقها المتمايلة، بدت وكأنها تنحني نحو الجبل في احترام صامت، تعكس شعورًا بأن الأرض نفسها تعترف بقوة هذا الجبل العائد من عمق الزمن.

في وسط هذا المشهد، كانت هناك شخصية مسنة، شيخ من الشيوخ الذين عاشوا حياتهم على ضفاف الفرات، شاهدوا مرور السنين وتعاقب الفصول. كان هذا الشيخ يجلس على صخرة قديمة، عيناه الغائرتان تتابعان بحذر ما يحدث. كان قلبه يخفق بشدة، لكنه لم يكن مجرد خوف أو رهبة. كان هناك شيء أعمق، إحساس بأنه يشهد تحقيق نبوءة قديمة، نبوءة تحدث عنها الأجداد في الليالي الباردة، عندما كانوا يجتمعون حول النار ويروون قصصًا عن زمن سحيق.

هذا الشيخ كان يتذكر بوضوح تلك الحكايات التي تتحدث عن جبل من الذهب، خبأته الآلهة في باطن الأرض لحمايته من جشع البشر. كان الجبل، بحسب الأسطورة، يحمل قوة هائلة، قوة يمكنها أن تحمي أو تدمر، بناءً على من يمتلكها. الآن، وهو يرى الجبل يظهر أمام عينيه، شعر بأن هذه القوة العظيمة قد عادت لتختبر العالم من جديد، لتضع البشر أمام امتحان آخر.

كانت الأفكار تتوالى في ذهنه، وهو يتأمل الجبل الذي بات يظهر بوضوح أكثر مع مرور الوقت. لم يكن الجبل مجرد كيان مادي، بل كان رمزًا لكل ما هو ممكن وما هو مستحيل، رمزًا للطموح البشري، للرغبة في السيطرة على ما لا يمكن السيطرة عليه. كان الجبل يقف هناك، شاهقًا، يعكس ضوء الشمس ويبعث برسالة إلى كل من يراه: أن القوة الحقيقية لا تُكتسب بالذهب أو الثروة، بل بالإيمان والعدل.

وفيما كانت الشمس ترتفع في السماء، وتلقي بأشعتها على الأرض، كان الجبل الذهبي يقف هناك، محاطًا بهالة من الغموض والجلال. كان الناس لا يزالون يراقبون المشهد بذهول، لكن الخوف بدأ يتسلل إلى قلوبهم. ماذا يعني ظهور هذا الجبل؟ وهل سيكون ظهوره نعمة أم نقمة؟ كانت الأسئلة تتراكم في أذهانهم، لكن الإجابات كانت بعيدة المنال.

بينما استمر الجبل في التلألؤ تحت ضوء الشمس، أدرك السكان أن ما رأوه لم يكن مجرد ظاهرة طبيعية، بل كان بداية لشيء أكبر. كانوا يشعرون بأن هذا الجبل، رغم جماله وهيبته، يحمل معه تحديًا لم يكن أحد مستعدًا له. كان يمثل امتحانًا للبشرية، اختبارًا لقدرتها على التحكم في الطموح والجشع، ولقدرتها على فهم القوة واستخدامها بحكمة.

ومع مرور الوقت، بدأت الأساطير القديمة تتجدد في أذهان الناس، تعود للحياة وكأنها لم تكن مجرد خرافات تُروى للتسلية. كانت تلك الأساطير تحمل في طياتها تحذيراً: أن القوة التي يحملها هذا الجبل ليست لمن يسعى إليها من أجل الثروة أو السلطة، بل لمن يملك قلبًا نقيًا ونية صادقة. كان الجبل يقف هناك، شاهقًا، كأنه يراقب العالم، ينتظر من سيكون على قدر التحدي.

وفيما بدأ النهار يقترب من منتصفه، وبدأت الحياة تعود تدريجيًا إلى ضفاف الفرات، كان الجبل الذهبي يقف هناك، يحرس أسراره، وينتظر من سيأتي ليكتشفها. كان مشهداً يتجاوز حدود الواقع، ويمتد إلى عمق الأساطير، حيث تلتقي الحقيقة بالخيال، ويتداخل الماضي بالحاضر. كان الجبل يحمل في طياته وعداً بالمغامرة، ولكن أيضًا بالخطر، تاركًا العالم في حالة من الترقب لما سيحدث بعد ذلك.

في النهاية، أدرك الجميع أن هذا الجبل ليس مجرد جبل. كان رمزاً للمعرفة التي لم تُكتشف بعد، وللقوى التي لم تُفهم بعد. كان اختباراً، لكنه أيضًا كان فرصة. كان الجبل الذهبي، بظهوره المفاجئ من أعماق الفرات، يضع أمام البشرية سؤالا لم يكن هناك مفر من مواجهته: هل ستكون هذه القوة لعنة أم نعمة؟ وهل سيتمكن البشر من التعامل معها بحكمة وعدل؟ كانت هذه هي الأسئلة التي ستشكل مستقبل القصة، التي بدأت للتو على ضفاف نهر الفرات، حيث تلتقي الأساطير بالحقيقة في لحظة من الزمن، لتعيد كتابة التاريخ من جديد.

****

مع بزوغ أول خيوط الفجر فوق نهر الفرات، انطلقت ديما، الصحفية الشابة التي اعتادت على ملاحقة الأخبار، بقلق يختلط بحماس غير مسبوق. كانت الرياح الباردة تصفع وجهها بلطف، بينما تسير بسرعة نحو موقع الحادثة. في أعماقها، كانت تشعر بأن هذه اللحظة تحمل في طياتها حدثًا غير عادي، قد يكون مفتاحًا لتغيير مسارها المهني بشكل جذري. كانت مدركة تمامًا أن السبق الصحفي لا يتوقف عند كونه الأول، بل يتعلق بكيفية تقديم الحدث بصورة تجذب الانتباه وتجعل الجميع يتوقفون لقراءته، والتفكير فيما وراء السطور.

عندما وصلت ديما إلى الموقع، أحاطت بها رهبة المشهد. كان الجبل الذهبي الذي انكشف من تحت مياه الفرات يتلألأ في ضوء الشمس الصباحية، كأنه يروي قصة كانت مدفونة لقرون طويلة. لم يكن هذا الجبل مجرد تكوين جيولوجي، بل كان يحمل في طياته إشارات ثقافية وتاريخية قديمة، جعلت ديما تدرك أن ما تشهده ليس مجرد خبر عابر، بل حدث سيظل يتردد صداه في الأذهان طويلاً. شعرت بأن قلبها ينبض بوتيرة أسرع، ليس فقط بسبب الجمال الخارق لهذا الجبل، ولكن بسبب إدراكها أنها أمام فرصة لا تُقدر بثمن.

بدأت ديما بتصوير الحدث بكل تفاصيله، كاميرتها تسجل كل لحظة بحرفية عالية، لكن عينيها كانت تلتقط شيئًا أكبر من مجرد صور. كانت تحاول فهم التفاعل العميق بين الطبيعة والمكان، بين الإنسان والأسطورة. كيف أن هذا الجبل الذهبي الذي كان يلمع تحت الشمس الصاعدة يحمل في طياته أكثر من مجرد لمعان سطحي، بل يحمل في عمقه إرثًا من الأساطير والمعتقدات الشعبية التي لطالما تحدثت عن جبل من الذهب مدفون تحت مياه الفرات.

بعد أن جمعت الصور والفيديوهات، جلست ديما على صخرة بجوار النهر، وبدأت تكتب تقريرها. كانت كلماتها تنساب على الورق كالماء في نهر الفرات، تحكي قصة تجمع بين الدقة الصحفية والإثارة الروائية. كانت تدرك أن عليها نقل الصورة كاملة، مع كل تفاصيلها وملامحها، دون أن تفقد عنصر التشويق الذي سيجعل القراء يعيشون الحدث معها.

"في صباح اليوم، حدث ما لم يتوقعه أحد على ضفاف نهر الفرات، حيث انحسر الماء بشكل مفاجئ ليكشف عن قمة جبل ذهبي عملاق، مشهد لم يشهده أحد من قبل. هذا الحدث غير المسبوق، الذي جذب انتباه الجميع، يُعدّ من أكثر الاكتشافات إثارة للدهشة في المنطقة. السكان المحليون، الذين تجمهروا لمشاهدة ما يحدث، لم يتمكنوا من تفسير هذه الظاهرة، إذ لم يروا شيئًا مشابهًا لها في حياتهم".

واصلت ديما الكتابة، مستخدمة لغة دقيقة ومحكمة، لكنها لم تغفل عن إضافة بعد إنساني للقصة، يمس قلوب القراء ويجعلهم يشعرون وكأنهم يعيشون اللحظة:

"تجمع الناس على ضفاف النهر، بعيون مليئة بالدهشة والقلق، يتساءلون عن سر هذا الجبل الذي ظهر فجأة. هل هو حقًا علامة من السماء؟ أم مجرد ظاهرة طبيعية؟ وبينما تزداد الأسئلة، تتصاعد التكهنات بين السكان المحليين، الذين بدأوا في استحضار الأساطير القديمة التي لطالما سمعوها في ليالي الشتاء الطويلة، عن جبل من الذهب كان مدفونًا تحت مياه الفرات، جبل كان يعتقد أن الآلهة خبأته ليظل بعيدًا عن جشع البشر".

قررت ديما أن تضيف بعدًا تحليليًا لتقريرها، لتبرز مدى أهمية الحدث وتأثيره على الصعيدين المحلي والعالمي:

"مع تزايد الاهتمام بالحادثة، توجهت فرق بحث علمية إلى الموقع في محاولة لفهم ما يجري. ولكن حتى الآن، لم تصدر أي تفسيرات رسمية حول سبب هذا الانحسار المفاجئ أو طبيعة هذا الجبل الغامض. ومع ذلك، بدأت وسائل الإعلام العالمية في التفاعل مع الخبر، وبدأت الشائعات تنتشر حول طبيعة هذا الاكتشاف الغامض، مما جعل هذه الحادثة تتصدر عناوين الصحف والنشرات الإخبارية في جميع أنحاء العالم".

لم تتوقف ديما عند هذا الحد، بل تعمقت أكثر في تحليل البعد الثقافي والرمزي للجبل، لتربط الحدث بجذوره التاريخية:

"لكن بعيداً عن الحقائق العلمية، هناك بُعد آخر للقصة يفرض نفسه بقوة. هذه الحادثة تعيد إلى الأذهان الأساطير التي تناقلتها الأجيال في هذه المنطقة، حيث يتحدث الناس عن جبل ذهبي كان يعتبر هدية من الآلهة، مدفونًا في أعماق النهر ليحمي البشرية من شرور الطمع. وفي ظل هذا الاكتشاف، بدأت هذه الأساطير تستعيد قوتها، حيث يرى البعض في ظهور الجبل تحقيقًا لنبوءة قديمة، بينما يتخوف آخرون من أن يكون هذا الاكتشاف بمثابة نذير شؤم".

ثم أضافت ديما، ببراعة، عنصر التوتر الدرامي إلى سردها، مما يزيد من إثارة القصة:

"مع هذا الحدث الغامض، تتصاعد الشكوك حول ما قد يحمله المستقبل. هل نحن على مشارف اكتشاف أثري سيغير فهمنا للتاريخ؟ أم أن هذا الجبل يحمل معه لعنة من الماضي، كما تروي الأساطير؟ هذا التساؤل يفتح الباب أمام احتمالات لا حصر لها، وقد يجعل من هذه الحادثة نقطة تحول في مسار التاريخ الحديث".

وختمت ديما تقريرها بتلميح غامض، يدفع القراء إلى متابعة التطورات بشغف:

"وبينما يظل الجبل واقفًا شامخًا على ضفاف الفرات، يلمع بريقه تحت الشمس الصاعدة، فإن العالم بأسره يترقب بفارغ الصبر ما ستكشفه الأيام القادمة. هل سيظل هذا الجبل غامضًا كما ظهر؟ أم أن أسراره ستُكشف لتروي لنا قصة لم تحكَ بعد؟ تابعونا للحصول على التحديثات المستمرة والتغطيات الحصرية من قلب الحدث".

كانت ديما تعلم أنها قدمت تقريراً ليس فقط عن حدث استثنائي، بل عن قصة تحمل في طياتها أبعاداً ثقافية وتاريخية وعاطفية. كانت كلماتها تجسد القوة التي يمكن أن يحملها الصحفي عندما يتمكن من نقل الحقيقة بطريقة تمس القلوب والعقول. أرسلت تقريرها إلى مكتبها، وشعرت بشعور عميق بالإنجاز. لم تكن مجرد شاهدة على حدث، بل كانت تكتب فصلا جديداً من التاريخ، فصلا سيمتد تأثيره إلى ما هو أبعد من حدود الفرات، ليصل إلى كل من يقرأ كلماتها، ويدرك أن وراء هذا الجبل الذهبي قصة لا تزال تنتظر من يكشف عن أسرارها.

****

المشهد الثالث :

في قلب بغداد القديمة، حيث تتشابك الأزقة الضيقة وتلتف حول نفسها مثل متاهة من الحجارة التي تحمل تاريخ المدينة العريق، كان مبنى قديم يطل بصمته الوقور على حركة الحياة التي لا تهدأ. هذا المبنى، الذي يختبئ بين البنايات الحديثة، كان يحمل بين جدرانه عبق الماضي وروح الحاضر. في الطابق العلوي من هذا المبنى، يقع مكتب الدكتور حسام، عالم الجيولوجيا الذي عرف كيف يتعامل مع صخور الأرض وكأنه يقرأ صفحات من كتاب قديم.

في هذا المكتب، كانت النوافذ الكبيرة تطل على شوارع بغداد التي تعج بالحياة، حيث تصدح أصوات الباعة المتجولين وتختلط مع هدير السيارات. لكن تلك الأصوات كانت تصل بصوت خافت إلى داخل المكتب، وكأنها تحترم هدوء المكان وتتركه في عزلته الهادئة. كانت النوافذ مفتوحة قليلاً، يسمح ذلك بدخول نسيم خفيف يحمل معه رائحة الياسمين الذي يتسلق على الجدران الخارجية، ممتزجًا برائحة الغبار الدافئ الذي يحمل ذكريات الأيام الحارة. كان النسيم يتسلل برفق إلى الداخل، يلامس الستائر الثقيلة المصنوعة من المخمل الداكن، يجعلها تتمايل بخفة، وكأنها ترقص على إيقاع غير مرئي.

المكتب كان يعبق برائحة الكتب القديمة، تلك الرائحة التي تحمل معها ذكريات لا حصر لها عن العصور والأماكن التي مرت بها. الأرفف كانت تكتظ بالكتب والمجلدات، بعضها مغطى بطبقة رقيقة من الغبار، والبعض الآخر يبدو وكأنه تم استخدامه مؤخراً. بجانب الكتب، كانت هناك نماذج صخرية متراصة بعناية، كل واحدة منها تحكي قصة عن عصر جيولوجي

مختلف، من الصخور البركانية التي شهدت ولادة الأرض إلى الأحجار الرسوبية التي سجلت في طياتها حكايات البحار القديمة.

على الجدران، كانت الخرائط الطبوغرافية تنتشر كأنها لوحات فنية، تظهر التضاريس والتكوينات الأرضية التي درسها الدكتور حسام على مر السنين. كانت الخرائط تحمل علامات ودوائر ملونة، تشير إلى مواقع اكتشافات هامة أو مناطق غامضة تحتاج إلى مزيد من البحث. بجانب الخرائط، كانت هناك رسوم بيانية معقدة، مليئة بخطوط ومنحنيات تشير إلى البيانات التي جمعها حسام من أعماق الأرض. كل شيء في المكتب كان يعكس دقة العمل العلمي وشغف الدكتور حسام بفهم أسرار الأرض.

في وسط هذه الفوضى المنظمة، كانت هناك طاولة خشبية ضخمة تتوسط الغرفة. سطح الطاولة كان يغرق تحت أكوام من الأوراق والمجلدات، بعضها مفتوح على صفحات مليئة بالملاحظات بخط يد دقيق، وأخرى مليئة بالرسوم التخطيطية لنماذج جيولوجية. كان هناك أيضًا فنجان قهوة نصف ممتلئ، لكن القهوة فيه قد بردت منذ ساعات، مما يشير إلى انغماس الدكتور حسام في عمله لدرجة نسيانه للأشياء البسيطة من حوله. بجانب الفنجان، كانت هناك نظارات ملقاة بإهمال، عدساتها تعكس ضوء الشمس الخافت الذي يتسلل إلى الداخل.

الجدران الحجرية للمكتب كانت باردة تحت الأصابع، لكن الهواء كان دافئًا بفضل الشمس التي بدأت تقترب من الأفق. كان الوقت بعد الظهيرة بقليل، والشمس ترسل أشعتها الذهبية عبر النوافذ، مما يجعل الغرفة تكتسي بلون دافئ يشبه لون الأرض في وقت الحصاد. الضوء كان يتسلل ببطء إلى الداخل، ينعكس على النماذج الصخرية، ويخلق ظلالا طويلة

على الأرضية الخشبية العتيقة. تلك الظلال كانت تتراقص مع حركة الستائر، مما يضفي على المكان جواً من الغموض، كأن الغرفة نفسها تستعد لاستقبال سر جديد.

بينما كان الدكتور حسام يجلس خلف مكتبه، كانت يداه تتصفحان صفحات قديمة، بحثًا عن إجابات لتساؤلات أثارتها الحادثة الأخيرة على ضفاف الفرات. عيناه كانتا تتنقلان بين السطور، تبحثان عن دلائل قد تربط ما يحدث في الحاضر بما هو مكتوب في الماضي. كان المكتب يحيط به بهدوء، وكأنه واحة من السكينة وسط ضجيج المدينة بالخارج. لكن هذا الهدوء كان مشوبًا بشعور غير مرئي بالترقب، وكأن الغرفة نفسها تنتظر بفارغ الصبر اللحظة التي سيكتشف فيها حسام الحقيقة المخفية.

من حين لآخر، كان يرفع رأسه وينظر إلى الخرائط المعلقة على الجدران، يتأمل التضاريس التي درسها من قبل، ويحاول ربط النقاط بين ما يعرفه وما يحدث الآن. كان يعلم أن هذا الجبل الذهبي الذي ظهر فجأة من تحت مياه الفرات قد يكون أكثر من مجرد ظاهرة جيولوجية، قد يحمل في طياته سراً دفينًا، شيئًا لا يمكن فهمه إلا من خلال نظرة عميقة في تاريخ الأرض، وربما حتى في تاريخ البشرية.

الجو داخل المكتب كان مليئًا بالتناقضات: الدفء المنبعث من ضوء الشمس، والبرودة التي كانت تأتي من الجدران الحجرية؛ رائحة الكتب القديمة التي تملأ الهواء، وصوت الأوراق المتناثرة الذي يكسر الصمت من حين لآخر. كل هذه التفاصيل كانت تخلق جواً خاصًا، يجمع بين الراحة والترقب، بين العلم والغموض.

بينما كان حسام يتأمل، كانت الشمس تستمر في هبوطها، تضفي على المكتب لونًا برتقاليًا دافئًا. لكن رغم هذا الدفء، كان هناك شعور بأن

شيئًا ما على وشك الحدوث، شيء سيغير الطريقة التي يرى بها حسام العالم من حوله. كانت الساعة تدق ببطء، لكن الزمن بالنسبة له لم يكن مجرد عقارب تتحرك على مدار الساعة، بل كان سلسلة من الأفكار والاكتشافات التي تنسج معًا قصة لم تكتمل بعد.

وفي تلك اللحظة، بينما كان الدكتور حسام يغرق في أفكاره، كانت المدينة بالخارج تستمر في حياتها المعتادة. لكن داخل هذا المكتب، كانت الأمور تتحرك ببطء، بتؤدة، وكأن الزمن نفسه يتأنى ليتيح لحسام فرصة اكتشاف الحقيقة المخفية تحت سطح الأحداث. كان المكتب يحيط به بهدوء، لكن هذا الهدوء كان يخفي تحته عاصفة من التساؤلات التي تنتظر الإجابة.

هكذا، وبينما بدأت أشعة الشمس تتلاشى تدريجيًا من زجاج النوافذ، تاركة الغرفة في ظل خافت، كان الدكتور حسام يعلم أن الأيام القادمة ستحمل معها الكثير من الأسرار التي يجب كشفها. لكن في هذه اللحظة، كان المكان والزمان يتلاشيان، ليتركا خلفهما شعوراً عميقًا بأن ما يحدث الآن هو بداية لفصل جديد من القصة، قصة قديمة قدم الأرض نفسها، لكن لم يكتب لها أن تُروى إلا الآن.

كان مكتب الدكتور حسام يعج برائحة الكتب القديمة والنماذج الصخرية المتراصة على الرفوف. كانت الأيام التي تلت ظهور الجبل الذهبي قد حولت مكتبه إلى ملتقى للأفكار المتشابكة، حيث كانت عقله يعج بالشكوك العلمية والمشاعر المتضاربة. كان يجلس خلف مكتبه، وعيناه تتنقلان بين الخرائط والرسوم البيانية، بينما أفكاره تسبح في بحر من الاحتمالات.

رن الهاتف فجأة، قاطعًا خيوط تفكيره. نظر حسام إلى الشاشة، ورأى رقمًا مجهولا. تردد للحظة، لكن الفضول دفعه للرد. "نعم، د. حسام

يتحدث." جاء الصوت من الطرف الآخر هادئًا لكنه يحمل نبرة السلطة والمسؤولية. "دكتور حسام، أنا أحمد، مسؤول حكومي. نحن بحاجة إلى خبرتك لقيادة فريق بحث للتحقق من الجبل الذهبي الذي ظهر مؤخراً في جنوب العراق. الأمر عاجل، ونحن نثق بك".

شعر حسام بارتباك داخلي. كان عقله يسبح في بحر من التساؤلات العلمية التي لم يجد لها إجابة بعد. كيف يمكن لجبل كهذا أن يظهر فجأة؟ هل يمكن أن تكون هناك قوى جيولوجية غير مفهومة وراء هذا الحدث؟ أم أن هناك شيئًا أكبر من مجرد تفسيرات علمية؟ لكنه لم يكن مستعداً لإجابة فورية، فالأمر يتطلب دراسة معمقة وتفكيراً هادئًا. "أفهم، سيد أحمد، لكن عليّ أن أكون صريحًا. هذه الظاهرة تحتاج إلى دراسة دقيقة قبل أن أتمكن من تقديم أي استنتاجات. نحن نتحدث عن أمر غير مسبوق".

على الطرف الآخر، جاء صوت المسؤول جاداً ومباشراً. "دكتور حسام، نحن ندرك تعقيد الموقف. ولكن هذا هو بالضبط سبب حاجتنا إليك. العراق بأكمله يراقب هذه الحادثة، ونحن بحاجة إلى فهم سريع ودقيق لما يحدث. هل يمكنك قيادة الفريق؟"

كانت كلمات المسؤول تحمل ضغطًا إضافيًا، لكن حسام شعر بشيء أعمق يتلاعب بمشاعره. لم يكن الأمر مجرد مسألة علمية بحتة. كان هناك شيء آخر يجذب حسام نحو هذا الجبل، شيء قديم ومجهول. رفع بصره إلى رف الكتب القريب، حيث كانت هناك مخطوطة قديمة، ورثها عن جده الأكبر، محفوظة بعناية بين الكتب. لطالما سمع قصصًا عن هذه المخطوطة في طفولته، لكنها كانت تبدو آنذاك وكأنها جزء من أساطير بعيدة لا علاقة لها بالواقع.

اقترب حسام من الرف بحذر، وكأنما يخشى إيقاظ ذكريات نائمة. أخذ المخطوطة بين يديه وشعر بثقل الزمن بين صفحاتها. كانت المخطوطة قديمة، مهترئة الأطراف، مكتوبة بلغة سومرية قديمة، تحكي عن جبل ذهبي كان مقدسًا لدى السومريين. كانت تحمل رموزًا ورسومات توحي بعلاقة عميقة بين هذا الجبل وقوى الطبيعة. لكن ما أثار دهشته كان النص الذي يشير إلى أن الجبل سيظهر مرة أخرى في زمن بعيد، عندما يحتاج العالم إلى إعادة النظر في الحكمة القديمة.

بينما كان يقرأ تلك الكلمات، شعر بشيء أشبه بالنداء الداخلي. لم يكن الأمر يتعلق بمجرد فضول علمي، بل كان هناك ارتباط أعمق، كأن إرث عائلته يحمل مفتاح فهم هذا الحدث. شعر بأن رفضه لهذه المهمة سيكون بمثابة التخلي عن جزء من هويته، عن جزء من ماضيه الذي لم يفهمه بعد.

قرر أن يمنح نفسه بعض الوقت للتفكير. "سيد أحمد، أحتاج إلى بعض الساعات للتفكير في هذا الأمر. سأتواصل معك قريبًا." أغلق حسام الهاتف ووضعه على الطاولة، لكنه لم يستطع تجاهل الشعور بالمسؤولية الذي بدأ يثقل كاهله.

عاد بنظره إلى المخطوطة، وأخذ يتأمل الرسومات القديمة التي تمثل الجبل وكأنه كيان حي. كانت هناك إشارات إلى طقوس دينية قديمة، وعن كيفية استخدام قوى الجبل لحماية الأرض من المخاطر. لكنه أدرك أن هذه المخطوطة لم تكن مجرد وثيقة تاريخية، بل كانت أشبه بخريطة روحية، توجه من يتبعها إلى فهم أعمق للعلاقة بين الإنسان والطبيعة.

تذكر كيف كان جده الأكبر يحدثه عن هذه المخطوطة، وكيف كان يؤمن بأن العلم لا يجب أن ينفصل عن الحكمة القديمة. كانت هذه الذكريات

تعود الآن لتشكل جزءًا من قراره. لم يكن بإمكانه تجاهل هذا الإرث، فالجبل لم يكن مجرد ظاهرة طبيعية، بل كان جزءًا من تاريخ عائلته، جزءًا من قصة أكبر.

أخذ نفسًا عميقًا، وقرر مواجهة هذا التحدي. لم يكن القرار سهلا، لكنه شعر بأنه مدفوع نحو هذا الطريق. اتصل مرة أخرى بالمسؤول الحكومي. "سيد أحمد، لقد قررت قبول المهمة. ولكن لدي شرط: أحتاج إلى فريق من الخبراء في التاريخ والآثار، بالإضافة إلى الجيولوجيين. هذا الجبل ليس مجرد تكوين جيولوجي؛ إنه جزء من إرث حضاري يجب علينا فهمه بعمق".

على الطرف الآخر، جاء صوت المسؤول مفعمًا بالارتياح والجدية. "فهمت، دكتور حسام. سنوفر لك كل ما تحتاجه. نحن نعتمد عليك".

أغلق حسام الهاتف وشعر بثقل المسؤولية يزداد على كتفيه، لكنه شعر أيضًا بنوع من الرضا الداخلي. كان يعلم أن هذه الرحلة لن تكون سهلة، لكنها كانت أيضًا فرصة لفهم جزء من تاريخه العائلي، وربما أيضًا لفهم نفسه بشكل أعمق.

نظر مرة أخرى إلى المخطوطة، وأغلقها ببطء. كان يعلم أن الأيام القادمة ستحمل الكثير من التحديات، لكن في داخله كان هناك يقين بأنه يسير على الطريق الصحيح. كان هذا الجبل أكثر من مجرد صخرة؛ كان بداية رحلة جديدة، رحلة ستأخذه إلى أعماق الأرض، وإلى أعماق ذاته.

بينما بدأت الشمس تغيب خلف الأفق، وملأت أشعتها الغرفة بضوء ذهبي ناعم، وقف حسام متأملا، وكأنما كان يستعد للخطوة التالية في هذه

الرحلة. كان يعلم أن الزمن يلعب دوراً حاسمًا في هذه القصة، وأن عليه أن يكون مستعداً لمواجهة ما قد يأتي.

في تلك اللحظة، شعر حسام بأن الجبل الذهبي لم يكن مجرد ظاهرة جيولوجية غامضة، بل كان رمزًا لشيء أعمق. كان يمثل المعرفة المفقودة التي تنتظر من يكتشفها، والحكمة القديمة التي تعود لتُظهر نفسها في زمن الأزمات. كان يعلم أن هذا الاكتشاف قد يغير حياته، وربما أيضًا حياة الكثيرين.

هكذا، وبينما كان الليل يزحف على بغداد، وبدأت الأضواء الخافتة تضيء شوارع المدينة، كان حسام يعلم أنه على أعتاب فصل جديد من حياته. فصل مليء بالغموض والتحديات، ولكنه أيضًا مليء بالإمكانيات والاكتشافات. كانت هذه اللحظة هي البداية، لحظة اتخذ فيها قراره بأن يواجه المجهول، بأن يتبع إرث عائلته، وأن يكتشف ما يخفيه الجبل الذهبي من أسرار قديمة.

على ضفاف الفرات، كانت الشمس تتوسط السماء، ترسل أشعتها الدافئة لتضيء مشهداً غير عادي. الجبل الذهبي، الذي انكشف فجأة منذ أسبوع، كان يقف هناك، شامخًا كعملاق قديم، يشع بريقه الذهبي في كل اتجاه. لم يكن هذا الجبل مجرد كومة من الصخور، بل كان كيانًا حيًا ينبض بقوة غامضة، تثير في نفوس كل من يقترب منه شعوراً بالرهبة والدهشة.

البيئة المحيطة بالجبل كانت مليئة بالحياة، لكن هناك هدوء غريب يخيم على المكان، كأنما كل شيء حول الجبل يحترم وجوده المهيب. ضفاف الفرات التي كانت في السابق تزينها الأعشاب الخضراء والزهور البرية، بدت الآن وكأنها تتراجع أمام عظمة الجبل، تاركة له المجال ليبرز في وسط الطبيعة

كملك متوج. كان هناك نهر صغير يتدفق بجوار الجبل، مياهه صافية ونقية، تنساب بهدوء وكأنها تخشى أن تزعج الصمت المهيب الذي يحيط بالجبل. حول النهر، كانت هناك نباتات نادرة، تنمو فقط في هذه المنطقة، وكأنها جزء من سحر الجبل، تضيف لمسة من الغموض إلى المشهد.

****

كانت الطيور التي تحلق فوق الجبل تبدو مختلفة، وكأنها أنواع نادرة لم يشهدها أحد من قبل. كانت تحوم بحذر، وكأنها تدرس هذا الكيان الغريب الذي ظهر فجأة في موطنها. أما الرياح، فقد كانت تهب برفق، تحمل معها رائحة الأرض المبتلة والأعشاب النادرة، تختلط برائحة التراب والطين المتصاعد من الحفريات التي بدأت قبل أيام قليلة.

بينما كان العلماء والباحثون يعملون بلا كلل حول الجبل، كانت تعلو وجوههم تعابير مختلفة. البعض منهم كان يتحرك بخطى واثقة، عيونهم تلمع بالحماس والرغبة في فك شيفرة هذا اللغز الغامض. آخرون كانوا يتجولون ببطء، يلقون نظرات مترددة على الجبل، وكأنهم يشعرون بأن ما يرونه يتجاوز حدود العلم. كان هناك نوع من الانقسام غير المعلن بينهم؛ البعض يرى الجبل كتحد علمي يجب مواجهته بكل الوسائل المتاحة، بينما يعتقد آخرون أن الجبَل يحمل في طياته أسراراً لا يمكن فهمها بسهولة.

على مقربة من الجبل، كانت هناك مجموعات من كبار السن من السكان المحليين، جاءوا بدافع الفضول وربما بعض الخوف. كانوا يجلسون في

حلقات صغيرة، يتحدثون همسًا عن الأساطير القديمة التي سمعوها من آبائهم وأجدادهم. أحدهم، رجل طاعن في السن، بوجه محفور بالتجاعيد، كان يحكي قصة عن جده الذي كان يروي له عن جبل ذهبي كان مختبئًا تحت مياه الفرات، وكان يُقال إنه مسكون بالجن. كان صوته منخفضًا، لكنه مليء بالرهبة، وكأنما كان يخشى أن يسمعه الجبل فيرد عليه.

لكن هذه الحكايات لم تكن مجرد خرافات بالنسبة لهم. كانوا يشعرون بأن الجبل يحمل شيئًا قديمًا، شيئًا يمتد جذوره إلى الماضي البعيد، ربما إلى ما قبل وجودهم بكثير. كانت نظراتهم الممزوجة بالخوف والإعجاب تلتقي أحيانًا بنظرات العلماء، لكنها كانت تحمل في طياتها معاني أعمق، معاني لا يفهمها إلا من تربى على هذه الأرض وسمع قصصها في الليالي المظلمة.

وفي وسط هذا الحراك المستمر، كان الجبل يبدو وكأنه يراقب كل شيء بصمت. رغم الضجة والآلات التي تعمل حوله، كان هناك نوع من السكينة ينبعث منه. الجبل لم يكن يتفاعل مع ما يجري حوله، لكنه في الوقت نفسه كان يفرض وجوده بقوة غامضة. كان هناك شعور عام بين الجميع بأن الجبل يحرس أسرارًا لم تكشف بعد، وأنه لن يسمح لأي كان بالاقتراب أكثر مما ينبغي.

لم يكن الأمر يتعلق فقط بما يمكن أن يكون مختبئًا داخل الجبل، بل كان هناك شعور بأن الجبل نفسه كيان يحمل ذكريات وقصصًا من الماضي. كانت هناك خطوط دقيقة محفورة على سطحه، تشكلت عبر العصور بفعل الزمن، وكأنها رسائل من حضارة قديمة تنتظر من يفك رموزها. كان العلماء يتنقلون بين تلك الخطوط، يحاولون تسجيل كل شيء،

لكنهم كانوا يشعرون في أعماقهم بأن فهم هذا الجبل يتطلب شيئًا أكبر من مجرد أدوات علمية.

في مكان آخر من الموقع، كان رجال الأمن والعسكريون يقفون في مواقعهم، يراقبون كل حركة بعناية. كانوا هناك ليس فقط لحماية العلماء، ولكن أيضًا للتأكد من أن الجبل سيظل آمنًا، وأن لا شيء غير متوقع سيحدث. كان وجودهم يضيف طبقة أخرى من التوتر إلى الجو، وكأنما الجميع يخشون أن يحدث شيء مفاجئ. كانت هناك أحاديث بينهم عن الغموض الذي يحيط بالجبل، عن القصص التي سمعوها من السكان المحليين. رغم أنهم مدربون على التعامل مع الطوارئ، إلا أنهم كانوا يشعرون بأن هذا الجبل يمثل تحديًا من نوع آخر، تحديًا لا يمكن التعامل معه فقط بالأسلحة والتكنولوجيا.

ورغم كل هذه الجهود، كان هناك شيء غير ملموس يحيط بالمكان. كانت هناك لحظات صمت غريبة تسود بين الحين والآخر، كأنما الزمن يتوقف لبرهة، يراقب الجبل بصمت، ثم يعود ليواصل حركته. كان العلماء يعرفون أن ما يواجهونه ليس مجرد صخرة، بل كيان يحمل في طياته لغزًا أعمق، شيئًا يتجاوز حدود العلم والمنطق.

ومع اقتراب الليل، بدأت الأضواء تضاء حول الجبل، تلقي بظلال طويلة على الأرض المتشققة. كان الجبل يلمع تحت ضوء المصابيح، لكن بريقه الطبيعي كان لا يزال يتفوق على كل شيء. كان يشبه كائنًا أسطوريًا، يراقب العالم من حوله بصمت، يحرس أسراره بعناية، وينتظر اللحظة المناسبة ليكشف عن جزء منها.

في تلك اللحظات، عندما بدأت الشمس تغيب خلف الأفق، تحول الضوء الذهبي إلى لون دافئ، يغمر الجبل بلمعان يشبه الحلم. بدأت الأصوات

تخفت تدريجيًا، وبدأ العلماء ينهون أعمالهم لليوم. لكنهم كانوا يعلمون أن العمل لم ينتهِ بعد، وأن الأيام القادمة قد تحمل مفاجآت لم يتوقعوها.

الموقع بدأ يفرغ ببطء من الحركة، لكن الجبل ظل واقفًا، يلمع تحت ضوء الشمس الغاربة. كان يشبه حارسًا قديمًا، يقف على حدود الزمن، يراقب العالم من حوله بصمت، يعرف أن دوره لم ينته بعد. كانت هناك أسرار لم تُكتشف بعد، وألغاز لم تحل. ومع انسحاب آخر شعاع من الشمس، غمرت الظلال الموقع، لتعيد إليه هدوءه الغامض.

الجبل الذهبي لم يكن مجرد اكتشاف جيولوجي، بل كان نقطة التقاء بين الماضي والحاضر، بين الأسطورة والحقيقة. كانت الأيام القادمة تحمل في طياتها تحديات جديدة، وأسئلة تحتاج إلى إجابات، لكن الجبل، بصمته الرهيب، كان يعدهم بمزيد من المفاجآت، ومزيد من الأسرار التي تنتظر من يكشف عنها.

مع وصول السيارات إلى موقع الجبل الذهبي على ضفاف الفرات، كان المشهد أمام الفريق العلمي بقيادة حسام أشبه بلحظة توقف فيها الزمن. الأرض المحيطة بالجبل كانت تغمرها رائحة التراب المبتل، بينما انعكاس الشمس على سطح الجبل خلق هالة ذهبية، تشع من بعيد وكأنها شمس ثانية تشرق من قلب الأرض. كل شيء بدا وكأنه يهمس بالأسرار القديمة التي تختبئ في الصخور.

ترجل الفريق من السيارات بحذر، مشاعر متناقضة تتلاعب بهم، بين حماس الاكتشاف وقلق ما قد يكشف عنه هذا الجبل الغامض. كانت الطبيعة حولهم تهمس أيضًا، الرياح تهب برفق، كأنها تحمل رسائل من

الماضي البعيد، وأصوات الطيور كانت تختلط بأصوات حفيف الأوراق، تخلق نغمات تشبه الألحان القديمة التي تعزفها الحضارات الغابرة.

تقدمت ريم، المهندسة الميكانيكية، بخطى ثابتة نحو الجبل، لكنها لم تستطع التخلص من شعور غير مريح بدأ يتسلل إلى قلبها. كانت عيناها تمسحان الذهب الذي يغطي الصخور، تلتقطان كل تفصيل بعناية. شعرت بشيء غير طبيعي في ذلك البريق، شيء لم يكن مجرد انعكاس لضوء الشمس، بل كأنه ينبعث من أعماق الذهب نفسه. لم يكن هذا الذهب مجرد معدن عادي، كان ينبض بالحياة، وكأنه يتنفس.

بينما كانت ريم تنحني لفحص إحدى الصخور المغطاة بالذهب، استخدمت أدواتها لتحليل السطح. كلما لمست الذهب، شعرت بدفء غير مبرر يتسرب إلى أصابعها. تذكرت دراستها السابقة عن المعادن، لكن لم يكن هناك شيء يشبه ما تراه الآن. كان الذهب هنا يمتلك خاصية غير مألوفة، كان أشبه بمادة حية، تتفاعل مع اللمس بطريقة تثير الفضول والخوف في آن واحد.

في هذه الأثناء، كان زيد، الباحث الجيولوجي، يجهز المعدات العلمية لإجراء التحليلات الأولى. كان يدرك أن هذا الاكتشاف قد يحمل إجابات لأسئلة طالما أثارت حيرة العلماء، لكنه لم يستطع التخلص من شعور غامض يعتريه. كان الجبل، بجلاله وغموضه، يبدو كأنه يراقبهم، كأنه يحمل في طياته تحذيراً غير معلن. كان الجو مشحونًا بشيء غير مرئي، شعور مشترك بين الجميع بأنهم يتعاملون مع كيان ليس مجرد صخرة صامتة، بل شيء أكبر، شيء يتجاوز حدود العلم.

بينما كان الفريق ينشغل في التحليلات، كانت نظرات حسام تتنقل بين أعضائه وبين الجبل، وهو يشعر بثقل المسؤولية يزداد على عاتقه. لم يكن

الأمر مجرد تجربة علمية بالنسبة له، بل كان هناك شيء أعمق يجذبه نحو هذا الجبل. تذكر المخطوطة العائلية التي ورثها عن جده، تلك الوثيقة القديمة التي حملت تحذيرات غامضة عن الجبل الذهبي. شعر بأن الوقت قد حان لإعادة النظر فيها، لفهم المعاني الخفية التي قد تكون مفتاحًا لفك شفرة هذا اللغز.

انسحب حسام إلى خيمته بعيدًا عن أعين الفريق، أخرج المخطوطة من حقيبته وأعاد قراءة السطور المكتوبة بلغة سومرية قديمة. كانت الكلمات تشع بنوع من القوة، وكأنها تحذر من خطر يلوح في الأفق. تحدثت المخطوطة عن قوى خفية مرتبطة بالجبل، وعن طقوس غامضة يجب اتباعها لتجنب غضب تلك القوى. مع كل سطر يقرأه، كان شعور القلق يتزايد داخله. لم يكن الجبل مجرد تكوين جيولوجي، بل كان يحمل في أعماقه أسرارًا قديمة، وربما أخطارًا غير متوقعة.

بينما كان حسام يغرق في قراءة المخطوطة، كانت الشمس تقترب من الأفق، تلقي بظلال طويلة على الأرض المحيطة بالجبل. في الخارج، كانت ريم تراقب بريق الذهب وتفكر في تلك الخصائص غير الطبيعية التي لاحظتها. شعرت بأن هناك شيئًا غير مريح يتربص بهم، لكن لم يكن لديها تفسير علمي لذلك. كلما غاصت في أفكارها، شعرت بأن الجبل ليس مجرد كيان صامت، بل كائن حي يراقب كل خطوة يقومون بها.

أما زيد، فقد كان يشعر بشيء مشابه. أثناء إعداد المعدات، كانت هناك لحظات صمت غريبة، كأن الطبيعة نفسها توقفت لتراقب ما يفعلونه. كان الجو مشحونًا، وكأن الأرض تحت أقدامهم تخفي شيئًا أكبر مما يتصورونه. بدأ زيد يشعر بأن التحليلات العلمية وحدها قد لا تكون كافية

لفهم ما يحدث هنا. كان هذا المكان يحمل في طياته شيئًا أعمق، شيئًا يتطلب نوعًا من الفهم الذي يتجاوز حدود العلوم الطبيعية.

عندما انتهى اليوم، وبدأ الفريق في تجميع النتائج الأولية، كانت الشمس قد اختفت تمامًا خلف الأفق، تاركة وراءها ضوءًا برتقاليًا خافتًا يغمر الجبل. شعرت ريم أن شيئًا لم يكن على ما يرام. كانت تلك الخصائص غير المألوفة في الذهب تثير القلق أكثر من الفضول. جلست بعيدًا للحظات، تتأمل الجبل الذي أصبح الآن مظلمًا جزئيًا، لكنها شعرت بأن بريقه الداخلي لم يخفت. كان هناك شيء ينبض من داخله، شيء حي وغير مفهوم.

في تلك اللحظات، بينما كان الليل يزحف ببطء، قرر حسام أن يجمع الفريق ويشاركهم بعضًا مما وجد في المخطوطة. كان يعلم أن التحذيرات التي قرأها لا يمكن تجاهلها. جلس الجميع حول طاولة داخل الخيمة الكبيرة، وكانت عيونهم مليئة بالتوتر والقلق. بدأ حسام يتحدث بصوت منخفض، يحكي لهم عن المخطوطة والتحذيرات التي تتعلق بالجبل. كان الجميع يستمعون بصمت، يشعرون بثقل الكلمات، ويدركون أن ما يواجهونه يتجاوز حدود العلم إلى عالم الأساطير والمجهول.

ختم حسام حديثه بتحذير واضح: "هذا الجبل ليس كما يبدو. قد يكون هناك شيء يراقبنا، شيء يتفاعل مع وجودنا هنا. يجب أن نتوخى الحذر في كل خطوة نخطوها. ما نكتشفه هنا قد يكون أكثر من مجرد معدن غريب".

حينها، أدرك الجميع أن الأيام القادمة لن تكون سهلة، وأن ما بدأ كبحث علمي قد يتحول إلى مواجهة مع قوى غير مرئية. كان الجبل يقف هناك في الظلام، وكأنه يستعد لفتح صفحة جديدة في قصة لم تُروَ بعد. ومع

ذلك، كان هناك شعور بأن الجبل لم يظهر ليروي قصة قديمة فقط، بل ليختبر من يجرؤ على فك شفرته.

القسم الثاني :

كان الليل يقترب ببطء، والسماء تكتسي بلون أرجواني داكن مع بقايا خيوط الشمس الذهبية التي تغرب وراء الأفق. الرياح تهب من النهر القريب، تحمل معها رائحة الطمي الممزوجة بنسمات باردة تشعر بها على الجلد. في هذه الأجواء الغامضة، كانت خيمة الشيخ حمدان تقف شامخة كحصن منيع، تحدّ الظلام الذي بدأ يلف الأرض.

داخل الخيمة، كان الجو مختلفًا تمامًا. السكون يسيطر على المكان، يتخلله فقط صوت خافت للأقمشة الثقيلة التي تلامس بعضها بفعل حركة الرياح الهادئة. الشيخ حمدان، رجل تجاوز السبعين من عمره، جلس في وسط هذا السكون، متربعًا على وسادة كبيرة. كانت تجاعيد وجهه العميق تحكي حكايات السنين الطويلة التي عاشها، وكل تجعيدة كانت ترمز إلى معركة، إلى قرار، إلى لحظة مرت عليه في حياته الطويلة كشيخ للقبيلة.

الشيخ حمدان، بجبته البيضاء النقية وكوفيته الحمراء التي تلتف حول رأسه بعناية، كان يبدو كأنه تجسيد حي للحكمة القديمة. عينيه الداكنتين كانت تلمعان في الضوء الخافت الذي ينبعث من المصابيح الزيتية المعلقة في جوانب الخيمة، تلك العيون التي شهدت الكثير ولم تفقد حدتها رغم تقدم العمر. كانت نظراته ثابتة، لكنها محملة بثقل أفكار عميقة تدور في ذهنه.

بينما كانت الرياح تهب برفق عبر فتحات الخيمة، شعر الشيخ حمدان بأن هناك شيئًا غير طبيعي في الأجواء. كان يشعر بأن الطبيعة نفسها تتنفس ببطء، وكأنها تحبس أنفاسها في انتظار شيء لم يحدث بعد. الحيوانات التي كانت عادةً ما تتجول بالقرب من الخيمة بدت وكأنها اختفت، وكأنها

تحس بخطر قادم فاختارت الابتعاد. حتى الطيور التي تحلق عادة في السماء بدت وكأنها تراقب الجبل من بعيد، وكأنها تخشى الاقتراب.

كان الجبل الذهبي، الذي ظهر فجأة بالقرب من أراضي قبيلته، يشغل فكر الشيخ حمدان بشكل كبير. لم يكن هذا الجبل بالنسبة له مجرد ظاهرة طبيعية أو اكتشاف جيولوجي؛ بل كان نذيراً بشيء عظيم قد يحدث. تذكر الحكايات القديمة التي سمعها في صغره، تلك القصص التي تتحدث عن جبل ذهبي محروس بقوى غامضة، وأن من يحاول الاقتراب منه سيواجه عواقب وخيمة. كانت هذه الحكايات تتردد الآن في ذهنه، تأخذ شكلاً جديداً مع كل دقيقة يمضيها في التفكير.

رفع الشيخ حمدان بصره إلى السقف القماشي للخيمة، وتذكر الليالي التي قضاها مع والده، حيث كان يجلس في خيمة مشابهة يستمع إلى حكايات عن الماضي البعيد. كان والده يحكي عن أحداث مرعبة حدثت في زمن بعيد، عندما حاول أحدهم الوصول إلى الجبل واستخراج الذهب. كانت النتيجة دماراً شاملا لكل من حاول الاقتراب. تلك القصص، التي كانت تبدو كخرافات للأطفال، أصبحت الآن حقائق تطفو على سطح الواقع. كان حمدان يشعر بعبء تلك المعرفة، وكأن الزمن نفسه يضغط عليه لاتخاذ قرار مصيري.

خارج الخيمة، كانت الرياح تشتد قليلاً، تحمل معها أوراق الأشجار الجافة، وتدفعها نحو الرمال المحيطة. في هذه اللحظات، شعر الشيخ حمدان أن الزمن يتحرك ببطء شديد، كأنما الأرض نفسها تتوقف لتراقب ما سيفعله. كان يشعر بأن الخيمة التي يجلس فيها ليست مجرد مأوى، بل هي ملاذ للأفكار العميقة، للحكمة التي تراكمت عبر الأجيال.

بدأ الشيخ يتساءل في صمت: هل الجبل اختبار من السماء؟ هل هو تذكير للبشر بأنهم يجب أن يظلوا متواضعين أمام قوى الطبيعة؟ كانت هذه الأسئلة تتردد في ذهنه كنبضات قلبه، تزيد من توتره وحيرته. لم يكن رجلا يميل إلى التفسير الروحي للأحداث، لكنه في هذه اللحظة شعر بأن هناك شيئًا أكبر من الفهم البشري يدور حول هذا الجبل. كانت تلك الهالة الغامضة التي تحيط بالجبل تجعله يشعر وكأن شيئًا روحانيًا، ربما إلهيًا، يراقبهم، ينتظر منهم أن يفهموا الرسالة المخفية.

تذكر الشيخ حمدان أنه في كل مرة كان يتخذ فيها قرارًا كبيرًا، كان يلجأ إلى خيمته، يجلس وحده، يستمع إلى صوت الرياح، ويستشعر الحكمة التي تأتيه من صمت الطبيعة. كان يشعر بأن الخيمة، بجدرانها القماشية وسجادها القديم، كانت دائمًا ملاذًا لأفكاره، مكانًا يجمع بين الماضي والحاضر، بين الأساطير والواقع. الآن، كان يجلس هنا مرة أخرى، لكنه كان يشعر بأن القرار الذي يجب أن يتخذه هذه المرة ليس مجرد قرار يتعلق بمستقبل قبيلته، بل بمستقبل الجميع.

بينما كان يتأمل في تلك الأفكار، شعر الشيخ حمدان بشيء غريب، كأنما الخيمة نفسها أصبحت جزءًا من الجبل، وكأن الأرض تحت قدميه بدأت تتحرك ببطء، تنبض بنفس الإيقاع الذي يشعر به في قلبه. كان يعلم أن هذه الأرض التي يعيش عليها تحمل ذكريات وآثارًا قديمة، لكنها الآن تبدو كأنها تستعد لحدث كبير. كان يشعر بأن الطبيعة من حوله تترقب بقلق، تنتظر اللحظة التي سيقرر فيها ما يجب فعله.

في هذه اللحظة، أدرك الشيخ حمدان أن الزمن ليس عدوًا، بل هو جزء من الحكمة التي يجب أن يستعين بها. كان يعلم أن كل شيء يحدث لسبب، وأن الجبل لم يظهر هكذا بلا هدف. ربما كان هذا الجبل هو تذكير

من الماضي، دعوة للإنسانية لتعيد النظر في علاقتها بالطبيعة، لتتذكر أنها جزء من كل شيء، وليست فوق أي شيء.

مع هذه الأفكار، شعر الشيخ حمدان بأن قلبه يثقل أكثر، لكنه في الوقت نفسه، شعر بقوة داخلية تتزايد. كان يعلم أن الليالي القادمة ستكون حاسمة، وأن عليه أن يستعد لما هو قادم. كانت الرياح تستمر في الهبوب، تحمل معها رسائل غير مفهومة، لكن الشيخ حمدان كان يقرأها بطريقته الخاصة، يعلم أن الوقت قد حان للتحرك، وأن الجبل الذهبي يحمل في طياته مصيراً يجب أن يتعامل معه بحذر وحكمة.

وفي تلك اللحظات، بينما كانت الظلال تتكاثف حول الخيمة، والسماء تتحول إلى لون أرجواني داكن، شعر الشيخ حمدان بأن الأرض تحت قدميه ليست مجرد تراب وصخور، بل هي جزء من روح أكبر، روح الطبيعة التي تتحدث إليهم بطرقها الخاصة. كان يعلم أن الجبل لم يكشف كل أسراره بعد، وأن عليه أن يستعد لمواجهة قوى لم يعرفها من قبل. وبينما كان الليل يزحف ببطء، بدأ الشيخ حمدان يشعر بأن الزمن قد بدأ في اتخاذ مساره، وأن القرار الذي سيُتخذ في هذه الخيمة سيحدد مسار المستقبل للجميع.

تحت ضوء القمر الفضي، تجمع أفراد قبيلة الشيخ حمدان في الخيمة الكبيرة التي كانت مركزاً للأحداث الهامة في حياتهم. كانت الخيمة تتسع للجميع، وجوها مشحون بالترقب والتوتر. الأقمشة الثقيلة التي تشكل جدران الخيمة كانت تمتص الأصوات الخارجية، مما جعل الداخل يبدو وكأنه معزول عن العالم الخارجي، وكأن الزمن توقف هنا ليستمع إلى ما سيقوله الشيخ.

جلس الشيخ حمدان في منتصف الخيمة على وسادة كبيرة، مرتفعًا قليلاً عن الآخرين، مما أعطاه حضوراً مهيبًا. كان الجميع ينظرون إليه بتوقير واحترام، يعلمون أن كلماته ليست مجرد كلمات رجل حكيم، بل إنها تعبير عن حكمة الأجيال التي مضت وعن التجارب التي خاضتها قبيلتهم على مر العصور. بوجهه المشبع بالتجاعيد التي تروي حكايات العمر الطويل، وبعينين عميقتين تعكسان سنوات من الخبرة والمحن، بدأ الشيخ حديثه بصوت خافت لكنه مليء بالثقة.

"يا أبناء قبيلتي"، بدأ الشيخ حمدان، وصوته يشق الصمت كأنه رياح تخترق الصحراء. "أعلم أنكم رأيتم جميعًا الجبل الذي ظهر فجأة على ضفاف الفرات. ولكن دعوني أخبركم شيئًا قد نسيه الكثيرون، ولكنه محفور في ذاكرتي كأنه حدث البارحة".

كانت العيون مركزة عليه، تلتقط كل كلمة وكأنها قطعة من الذهب، تمامًا مثل ذلك الجبل الغامض الذي يتحدث عنه. استمر الشيخ في حديثه، مستعينًا بحكمته وحضور الماضي الذي يطارد ذاكرته.

"هذا الجبل لم يظهر هكذا بلا سبب. منذ أن كنت طفلا، سمعت من كبار السن قصصًا عن هذا الجبل، عن الذهب الذي يخبئه في أحشائه. ولكنهم أيضًا حذروا، ونبهوا أن هذا الذهب ليس كنزًا يمكن الحصول عليه بسهولة. إنه مصيدة، فخ لمن يطمع في ما ليس له. هناك نبوءة قديمة، تتحدث عن أن من يحاول استخراج هذا الذهب سيجلب اللعنة على نفسه وعلى من حوله. سيجلب الدمار والخراب".

كانت الهمسات تتصاعد بين الحاضرين، لكن الجميع ظلوا منصتين بعمق، يدركون أن ما يقوله الشيخ ليس مجرد تحذير، بل حقيقة عاشها بنفسه.

"أتذكر ذلك اليوم كأنه كان البارحة"، قال الشيخ حمدان بصوت متهدج، محاولا السيطرة على المشاعر التي غمرته. "كان عمري لا يتجاوز العشرين عامًا، حينما قرر بعض أفراد قبيلتنا، مدفوعين بالجشع والطمع، محاولة الوصول إلى الجبل لاستخراج الذهب. حذرهم كبار السن، لكنهم لم يستمعوا. ظنوا أن النبوءة مجرد خرافة، وأنهم سيتحدون القدر ويظفرون بالثروة. كانت تلك اللحظات مليئة بالحماس، ولكن سرعان ما تحول كل شيء إلى كابوس".

توقف الشيخ قليلاً، ليأخذ نفسًا عميقًا، وليرى تأثير كلماته على أفراد قبيلته. كان يعرف أن ما سيقوله الآن سيثير الكثير من المشاعر، لكنه شعر بأن الوقت قد حان لكشف الحقيقة.

"أولئك الرجال... لم يعودوا أبدًا"، قالها بصوت يكاد يكون همسًا، لكنه كان كافيًا ليزرع الرعب في القلوب. "اختفوا بلا أثر. بعضهم لم نرَ له جثة، والبعض الآخر وجدناه بعد أيام، بلا حياة، وكأن الجبل قد امتص أرواحهم. لم يكن هناك تفسير علمي لما حدث، فقط الخوف والرعب. منذ ذلك الحين، أصبحت النبوءة جزءًا من تراثنا، وصار الجبل رمزًا للدمار لكل من يحاول الاقتراب منه".

كان الصمت يخيم على المكان، والوجوه كانت شاحبة، عيونهم تتحرك بين الشيخ والأرض، كل منهم يغرق في أفكاره. لم يكن الحديث عن الماضي مجرد سرد لأحداث قديمة، بل كان تحذيرًا واضحًا من تكرار تلك الأخطاء.

استمر الشيخ في حديثه، محاولا إقناعهم بأهمية الابتعاد عن الجبل: "الذهب قد يبدو مغريًا، ولكن هل يستحق أن نخاطر بأرواحنا من أجله؟

هل نريد أن نعيد التاريخ ونفتح جروحًا لم تلتئم بعد؟ نحن نعيش في سلام، والجبل ليس إلا امتحانًا من السماء، اختباراً لإيماننا وصبرنا".

أحد الرجال، الذي كان يجلس في نهاية الخيمة، تجرأ وسأل بصوت متردد: "ولكن يا شيخ، ماذا لو كان هناك من يرغب في المحاولة؟ هل سنمنعه؟"

نظر الشيخ حمدان إليه بنظرة حادة، ثم قال بصوت مليء بالعزم: "سأفعل كل ما بوسعي لمنع أي شخص من الاقتراب من ذلك الجبل. لن أسمح بأن يتكرر ما حدث في الماضي. إذا كان عليّ أن أكون الحارس الذي يمنع اللعنة من الانتشار، فسأفعل ذلك، حتى لو كان ذلك على حساب حياتي".

كانت كلماته قوية وصارمة، وكأنها تثبت القرار الذي اتخذه لحماية قبيلته. لقد عاش الشيخ حمدان طويلا، وشهد الكثير من الأحداث، لكنه كان يعلم أن التحدي الذي يواجهه الآن هو الأصعب. كان عليه أن يختار بين حماية شعبه من الخطر وبين مواجهة تلك القوى الغامضة التي تحيط بالجبل.

بينما كان الشيخ حمدان ينهي حديثه، كانت الرياح خارج الخيمة تشتد، وكأن الطبيعة نفسها تتفاعل مع كلماته. كان يعلم أن هذا الجبل قد ظهر ليختبرهم، وأن النبوءة لم تكن مجرد أسطورة. كان عليه أن يكون حذرًا، لأن ما قد يحدث لاحقًا قد يغير مسار قبيلته إلى الأبد.

مع مرور الوقت، بدأ الناس يغادرون الخيمة، لكنهم كانوا يحملون في قلوبهم ثقل الكلمات التي سمعوها. لم يكن الشيخ حمدان مجرد قائد لهم، بل كان رمزًا للحكمة والقوة، وكانوا يعلمون أنه إذا كان هناك من يستطيع مواجهة هذا التحدي، فهو بالتأكيد الشيخ حمدان. ومع حلول

الليل، كان الجميع يعلم أن الأيام القادمة ستشهد أحداثًا غير عادية، وأن الجبل لم يكشف بعد عن كل أسراره.

****

في قلب بغداد، حيث يمتزج عبق التاريخ مع صخب الحياة الحديثة، كان مكتب رجل الأعمال أبو فاضل يقف شامخًا بين أبنية المدينة المزدحمة. كان المكتب يقع في طابق علوي من مبنى حديث مكسو بالزجاج، يعكس ضوء الشمس الساطع نهارًا وأضواء المدينة المشتعلة ليلا، كأنما هو برج مراقبة يطل على عالم يعج بالفرص والتحديات.

في ذلك اليوم، كانت شمس بغداد تغمر المدينة بأشعتها الذهبية، بينما كانت السماء تتلون بظلال من الأزرق الفاتح تمتزج برائحة الغبار الدافئ، الذي يحمل معه ذكريات الصحراء البعيدة. كانت الشوارع تحتضن حركة لا تهدأ، أصوات السيارات تختلط بنداءات الباعة، وحركة الناس المتواصلة تضفي على المدينة حيوية لا تخمد أبدًا. لكن فوق كل هذا الصخب، كان هناك هدوء يخيم على مكتب أبو فاضل، هدوء يحمل بين طياته قوة السلطة والنفوذ.

داخل المكتب، كان الفضاء يعكس شخصية صاحبه بكل وضوح. الأرضيات كانت مغطاة برخام فاخر، أبيض اللون يتخلله عروق ذهبية، تعكس الضوء الصادر من المصابيح الكريستالية التي تتدلى من السقف العالي. الجدران كانت مكسوة بألواح خشبية داكنة، تحمل نقوشًا دقيقة

محفورة يدويًا، تذكر بنقوش القصور القديمة، وكأنها تحاكي عظمة الماضي في حلة حديثة.

المكتب نفسه كان قطعة فنية بحد ذاتها، مصنوعًا من خشب الساج المصقول، وكانت حوافه مزينة بخيوط ذهبية، تعكس أضواء المصابيح بشكل يوحي بالفخامة والرقي. على سطح المكتب، كانت هناك أوراق مرتبة بعناية، تقارير مالية ومستندات قانونية، جنبًا إلى جنب مع جهاز حاسوب حديث، تتراكم بجواره قلائد من أقلام حبرية فاخرة، كل منها يحمل توقيعًا خفيًا على أناقة الزمن الكلاسيكي.

في الزاوية اليسرى من المكتب، كانت هناك نافذة كبيرة تمتد من الأرض إلى السقف، تطل على منظر بانورامي للمدينة. من خلال هذه النافذة، كانت بغداد تبدو كلوحة متحركة، تتغير تفاصيلها مع كل لحظة. كان ضوء الشمس يدخل من خلالها بلطف، يتسلل إلى داخل المكتب ليضفي على المكان دفئًا هادئًا، ولكنه في الوقت نفسه يعكس القوة التي يحملها المكان وصاحبه. كانت الستائر الحريرية الحمراء، المزينة بخيوط ذهبية رفيعة، معلقة على جانبي النافذة، تُستخدم لحجب الضوء عندما يرغب أبو فاضل في خلق جو أكثر خصوصية وغموضًا.

على الجانب الآخر من الغرفة، كانت هناك مكتبة ضخمة، تمتد على طول الجدار، مملوءة بالكتب ذات الأغلفة الجلدية الفاخرة، مرتبة بعناية وفقًا للألوان والأحجام. كانت الكتب تحمل عناوين في الاقتصاد والتاريخ والسياسة، تعكس اهتمامات أبو فاضل العميقة ورغبته الدائمة في التعلم والسيطرة على مجريات الأمور. إلى جانب الكتب، كانت هناك تماثيل صغيرة من البرونز والخزف، تمثل شخصيات تاريخية أو حيوانات قوية، وكل تمثال كان يحمل في طياته رمزًا للقوة والنفوذ.

في الزاوية الأخرى من الغرفة، كانت هناك طاولة صغيرة دائرية، تحيط بها كراس جلدية من اللون البني الداكن، تستخدم للاجتماعات الخاصة والمناقشات السرية. على الطاولة، كانت هناك زجاجة كريستالية تحتوي على مشروب فاخر، وإلى جانبها كأس واحد، يلمع تحت الضوء الخافت، وكأنه يعكس وحدانية القرارات التي تُتخذ هنا.

في ذلك الوقت، كانت الساعة تشير إلى ما بعد الظهيرة بقليل، وكان أبو فاضل يجلس خلف مكتبه، يستعرض بعينيه تقريراً مالياً، ولكن فكره كان مشغولا بأمر آخر. ضوء الشمس كان ينعكس على نظاراته الفضية، يضفي على ملامحه الحادة ظلا من الغموض. كان يرتدي بدلة فاخرة من اللون الرمادي الداكن، ربطة عنقها الحريرية كانت منسجمة مع الألوان المحيطة، ولكنها تحمل نقشًا دقيقًا بالكاد يلاحظه أحد، يعكس ذوقه الرفيع وتفانيه في التفاصيل.

كان أبو فاضل رجلا من نوع خاص، يختلط في شخصيته الحس التجاري بالحس السياسي، يعرف كيف يتحكم في مجريات الأمور وكيف يستخدم النفوذ لتحقيق أهدافه. كان مكتبه هذا هو مسرح العمليات، حيث تُنسج الخطط وتُبرم الصفقات، وكان يعلم أن كل قرار يتخذه هنا قد يحمل معه تأثيرات بعيدة المدى، ليس فقط على أعماله، ولكن على حياة الكثيرين.

بينما كان يجلس هناك، يمرر يده على سطح المكتب المصقول، كانت أفكاره تتجه نحو الجبل الذهبي الذي سمع عنه مؤخراً. كان يعرف أن هذا الجبل يمثل فرصة فريدة، ولكنه في الوقت نفسه، كان يشعر بأن هناك شيئًا غامضًا يتعلق به. لم يكن الرجل من النوع الذي يؤمن بالخرافات أو الأساطير، لكن حدسه الذي نادراً ما يخونه كان يحذره من التسرع.

كانت الأيام الماضية قد شهدت الكثير من النقاشات والتخطيط في هذا المكتب، وكان أبو فاضل يعلم أن القرار الذي سيتخذه قريبًا بشأن الجبل قد يغير الكثير. كان الزمن يمر ببطء داخل هذا المكتب، وكأن عقارب الساعة كانت تنتظر إشارة منه لتتحرك. كان المكان يعج بالطاقة الهادئة، طاقة انتظار وترقب لما سيأتي بعد ذلك.

في تلك اللحظات، عندما بدأت الشمس تميل نحو الغروب، كان أبو فاضل يشعر بأن الزمن بدأ يضغط عليه لاتخاذ القرار. كان يعلم أن الوقت قد حان للتحرك، وأن ما سيحدث في الأيام القادمة قد يحدد مصيراً لم يكن يتخيله أحد. وبينما كان ينظر إلى المدينة من خلال النافذة الكبيرة، كان يعرف أن كل شيء يعتمد على الخطوة التالية التي سيتخذها في هذا المكتب، المكان الذي شهد على صعوده كأحد أقوى رجال بغداد.

في مكتبه الفاخر ببغداد، جلس أبو فاضل متأملاً في خططه المستقبلية، عيناه تركزان على الخريطة الموضوعة بعناية أمامه، والتي تُظهر موقع الجبل الذهبي. ضوء الشمس الغارب كان ينساب بهدوء عبر النوافذ الكبيرة، يملأ المكتب بضوء ذهبي باهت، يتمازج مع لمسات الديكور الفاخرة، لكنه كان يعكس أيضًا شعوراً خفيًا بالتوتر الذي لم يستطع أبو فاضل تجاهله تمامًا.

كان المكتب يعج بالفخامة؛ الأرضيات الرخامية تتلألأ كأنها بحر من المرمر، والجدران المكسوة بالخشب الداكن تحمل تفاصيل محفورة بدقة تعكس ذوقًا رفيعًا وحسًا بالمكانة. ولكن خلف هذه الفخامة، كانت هناك أفكار مضطربة تتحرك في عقل أبو فاضل، أفكار تتعلق بالجبل الذهبي الذي يطمع في السيطرة عليه.

بينما كان ينظر إلى الخريطة، تذكر اللحظات التي واجه فيها تحديات مماثلة في الماضي، عندما كان عليه أن يخاطر بكل شيء لتحقيق طموحاته. كانت تلك اللحظات تملأه بشعور بالفخر، لكنه شعر أيضًا بظل غامض يلوح في ذهنه، وكأن الماضي يطارده بأشباح تحذر من تكرار الأخطاء. ولكنه بسرعة، قمع تلك الأفكار، معتبراً إياها مجرد تردد غير مبرر، ثم عاد إلى تركيزه المعتاد.

في زاوية المكتب، كانت نافذة ضخمة تكشف عن مشهد بانورامي لبغداد، المدينة التي لطالما كانت ميدانًا لطموحاته. كان ضوء النهار يتلاشى ببطء، وتبدأ الأضواء الحضرية تضيء كنجوم في ليل صاف، لكنها بالنسبة لأبو فاضل كانت تضيء طريقًا نحو السيطرة والثروة. خلف هذا المشهد المذهل، كانت السماء تحمل إشارات خفية، غيوم داكنة بدأت تتجمع بهدوء في الأفق، كما لو أن الطبيعة نفسها تعبر عن تحفظاتها تجاه ما كان يخطط له.

أمسك أبو فاضل بهاتفه الذكي، وبدأ بإجراء مكالماته المعتادة مع الشخصيات النافذة في الحكومة. كانت كلماته مدروسة، كل جملة تحمل في طياتها وعداً أو تلميحًا لصفقة مربحة. "سيد الوزير، كما تعلم، الجبل الذهبي ليس مجرد قطعة أرض، إنه فرصة لإحداث تغيير كبير في الاقتصاد الوطني. كل ما نحتاجه هو ضمان حقوق التعدين بشكل قانوني، وسأهتم بالباقي".

كان الصوت على الطرف الآخر يحمل نوعًا من التردد، ولكن النفوذ الذي يمتلكه أبو فاضل جعل الوزير يدرك أن المقاومة قد لا تكون مجدية. "أبو فاضل، نحن نعرف قدراتك ونثق في قدرتك على تحقيق الفائدة للجميع. سنتابع الإجراءات اللازمة لضمان حصولك على ما تطلبه".

بعد إنهاء المكالمة، جلس أبو فاضل في صمت للحظات، مستعيداً توازنه. كانت كلمات الوزير ترضيه، لكنها لم تمحُ بالكامل ذلك الشعور الغامض الذي استمر في مطاردته. كان يتساءل في داخله عما إذا كان يتجاهل شيئًا هامًا، شيئًا لا يمكن السيطرة عليه بسهولة كما اعتاد. كان يعلم أن الجبل ليس مجرد قطعة من الأرض، وأن وراءه قصة قديمة، تحذيرات قد لا تكون مجرد خرافات.

وبينما كان يجلس، كانت عيناه تتحركان نحو التماثيل الصغيرة التي تزين رفوف مكتبه. تماثيل برونزية لخالدين في التاريخ، شخصيات قوية وأسطورية، ولكنها تحمل في طياتها تذكيراً بأن القوة قد تكون سيفًا ذا حدين. كانت تلك التماثيل تمثل بالنسبة له القوة التي يسعى إليها، لكنها كانت تذكيراً أيضًا بأن كل قوة تحمل معها مخاطرة.

توقف أبو فاضل عن التأمل للحظة، وتذكر تحذيرات الشيخ حمدان. كان يعلم أن الشيخ لا يتحدث من فراغ، وأن النبوءة التي حذر منها كانت تستند إلى شيء أعمق من مجرد أساطير شعبية. ومع ذلك، لم يكن أبو فاضل من النوع الذي يتراجع عن قراراته بسبب تحذيرات مبهمة. كان يؤمن بأن النجاح يأتي لمن يجرؤ على المخاطرة، وأن الثروة تنتظر من يملك الشجاعة لتجاوز الحدود التي يخشاها الآخرون.

لكن في أعماقه، كان هناك شعور يتزايد بالقلق، شعور بأن هذا الجبل قد يكون استثناءً، أن هذه المرة قد يكون الطمع أكثر خطورة مما كان يتصور. وبينما كانت أفكاره تتشابك مع طموحاته، كان يتجاهل تلك الهمسات الغامضة التي تحاول أن تخترق جدران عقله، معتمداً على عقليته الحازمة التي لطالما قادته إلى النجاح.

عندما حل الليل، وبدأت الأضواء تخفت في مكتبه، شعر أبو فاضل بالضغط الزمني يتزايد. كان يعلم أن قراره بالتحرك نحو الجبل يجب أن يكون سريعًا وحاسمًا. لم يكن لديه وقت للتردد، ولكنه لم يكن يعرف أن هذا القرار قد يفتح بابًا نحو المجهول، بابًا قد لا يمكن إغلاقه مرة أخرى.

ومع ذلك، استمر في إعداد خطته، متجاهلاً التحذيرات التي كانت تتردد في ذهنه. كان يرى نفسه كالفاتح الذي سيواجه هذا الجبل الغامض وينتصر عليه. ولكن بينما كان المكتب يغرق في الظلال، وكانت الرياح تهب برفق عبر النوافذ المفتوحة، شعر أبو فاضل ببرودة غير مبررة تمر في جسده، كأنها تذكير بأن ما يخطط له قد يحمل في طياته شيئًا لم يكن يتوقعه.

وفي تلك اللحظات، وبينما كان ينظر من خلال النافذة نحو المدينة التي بدأت تستسلم لليل، كان يعلم أن الوقت قد حان للتحرك. لكن في مكان ما في أعماقه، كان هناك شك يتزايد، شيء كان يحاول تجاهله، ولكنه لم يستطع التخلص منه بالكامل. كان يعلم أن الجبل الذهبي يقف هناك، بعيداً، منتظراً الخطوة التالية. خطوة قد تحدد مساراً لم يكن في الحسبان، مساراً قد يكون محفوفًا بالظلام والمخاطر التي لم يتوقعها أحد.

القسم الثالث: تعقيدات جديدة

داخل الجبل الذهبي، كانت الأنفاق التي تم إنشاؤها حديثًا تغوص في أعماق الأرض، تفتح الطريق أمام فريق البحث لمواجهة المجهول. كانت الجدران المحيطة بهم تضيق أحيانًا وتتسع أحيانًا أخرى، كأنها تتنفس ببطء، تستجيب لخطواتهم وحركاتهم بحذر غير مرئي. كلما توغلوا أعمق، كانت الصمت الذي يحيط بهم يصبح أكثر كثافة، يثقل كاهلهم ويزيد من حدة التوتر الذي يملأ الهواء.

الجبل من الخارج كان يبدو وكأنه حارس قديم، يقف شامخًا وسط الطبيعة، ولكنه كان أيضًا أشبه بعملاق من الذهب نحتته قوى غامضة من صخور الأرض. كان سطحه يلمع ببريق غريب تحت ضوء الشمس، بريق يلمح للعيان كأنه ينطوي على أسرار غير مكتشفة. ومع كل خطوة داخل هذا النفق، كان الفريق يشعر وكأنهم يدخلون إلى قلب كائن حي ينبض بالطاقة، طاقة لم يعرفوا مصدرها ولم يفهموا كنهها.

في هذا المكان الغريب، حيث الزمن نفسه يبدو أنه فقد معناه التقليدي، كانت ريم، المهندسة الميكانيكية، تعمل بصمت مشوب بالقلق. كانت معتادة على التعامل مع المعادن، لكن ما واجهته هنا كان مختلفًا تمامًا. هذا الذهب الذي يغطي الجدران ليس كأي شيء تعاملت معه من قبل. كلما لمسته أو فحصته، كان هناك شعور غير مريح يتسلل إلى أعماقها، وكأن هذا المعدن يحاول التواصل معها، يحاول إخبارها بشيء لم تستطع فهمه تمامًا.

وقفت ريم عند إحدى النقاط العميقة في النفق، حيث كانت الصخور المغطاة بالذهب تتلألأ بإشعاعات غير مرئية بالعين المجردة. لكنها، باستخدام عدستها المكبرة، استطاعت رؤية تفاصيل دقيقة، موجات

ضوء صغيرة تتراقص داخل المعدن، كأنها رسائل غامضة تنتظر من يفك شيفرتها. كانت هذه الإشعاعات ليست مجرد ضوء، بل كانت طاقة حية، تشبه الموجات الكونية التي كانت تُعبد في الحضارات القديمة. شعرت ريم برجفة تسري في جسدها، رافقها شعور بأن هذا الذهب يحمل قوة قديمة، ربما قوة تتجاوز كل ما عرفه البشر حتى الآن.

في تلك اللحظة، حين أغمضت ريم عينيها، شعرت كأن الجبل يتحدث إليها بلغة لا يفهمها سوى من يملكون القدرة على رؤية ما وراء الحجاب. كانت تستطيع تقريبًا سماع همسات بعيدة، كأن الجبل نفسه يرسل رسائل من أعماق الزمن، يروي حكاية حضارة قديمة ضاعت في غياهب النسيان. وبدأت تتساءل: هل يمكن أن يكون هذا الجبل أكثر من مجرد تكوين جيولوجي؟ هل يمكن أن يكون قد تم إنشاؤه أو تغييره بطرق غير معروفة من قبل حضارات قديمة كانت تعرف أسرار الطبيعة وتستطيع تسخيرها لأغراضها الخاصة؟

بينما كانت ريم تغرق في أفكارها وتحليلها للذهب، كان حسام يقف بالقرب من مدخل النفق، ممسكًا بالمخطوطة العائلية التي ورثها عن جده الأكبر. كانت هذه المخطوطة بمثابة مفتاح لفهم العديد من الأمور التي بدت غامضة في البداية. كانت صفحاتها المصفرة تحمل نصوصًا ورسومًا تُظهر أن هذا الجبل ليس مجرد جبل. بل كان مركزًا لقوة روحية أو طاقة كونية، كان يُعتقد أنها قادرة على التحكم في الطبيعة نفسها.

بينما كان حسام يقرأ المخطوطة بعناية، شعر بأن الزمن داخل هذا الجبل يتحرك بشكل مختلف. كانت الساعات تبدو أطول، واللحظات تحمل ثقلا لم يكن يستطيع تجاهله. كان يشعر وكأن الجبل يلعب بعقله، يفرض عليه إيقاعًا بطيئًا، يجعله يدرك أن ما يواجهونه ليس مجرد لغز علمي،

بل هو شيء أكبر، شيء يمكن أن يكون له تأثيرات غير متوقعة على العالم بأسره.

علي، الباحث في الأساطير، كان يقف بجانب حسام، عينيه تلمعان بفضول وحماس. كان علي يؤمن بأن الأساطير تحمل حقائق خفية، وأن الجبل الذهبي ليس استثناءً. كان يحكي لحسام عن قصص قديمة سمعها من كبار السن في قريته، قصص تتحدث عن جبل ذهبي يظهر في أوقات معينة، عندما تتجمع قوى الطبيعة لتفتح بوابة إلى عوالم أخرى. كان الجبل يُعتبر بوابة لعوالم مخفية، تحمل أسراراً لا يستطيع العقل البشري فهمها بسهولة.

مع كل كلمة ينطق بها علي، كان حسام يشعر بأنهم يقتربون من حقيقة خطيرة. كان هناك شيء مشترك بين ما تقوله المخطوطة وما اكتشفته ريم، وكأن كل قطعة من اللغز تبدأ في الاندماج معًا لتكشف عن صورة أكبر. صورة تظهر أن هذا الجبل قد يكون بالفعل أكثر من مجرد تكوين جيولوجي، قد يكون نقطة تقاطع بين عالمنا وعوالم أخرى، أو ربما مصدراً لطاقة قديمة لم يعرفها البشر منذ آلاف السنين.

في تلك الأثناء، وبينما كانت ريم تواصل تحليل العينات، شعرت بزيادة في حدة الإشعاعات التي تصدر من الذهب. كانت تتوقع أن تجد بعض الخصائص العادية للمعدن، ولكن ما وجدته كان مختلفًا تمامًا. بدأت تتساءل عما إذا كانت هذه الإشعاعات تشير إلى وجود نوع من الطاقة الحية، نوع من الحياة غير المرئية التي تحوم داخل الجبل. كلما فكرت في الأمر، شعرت بأن الجبل قد يكون على وشك إظهار شيء أكبر بكثير، شيء لم تتوقعه.

حسام، الذي بدأ يشعر بضغط الزمن يتزايد، عاد إلى المخطوطة ليجد إشارات تتحدث عن "الحظة الحاسمة"، اللحظة التي يكون فيها الجبل على وشك أن يكشف عن أحد أسراره. كانت النصوص تتحدث عن قوة خفية محفوظة في قلب الجبل، قوة تستطيع التحكم في الطبيعة والبشر. كان هذا الوصف يشير إلى أن الجبل قد يكون مركزًا لقوة روحية أو كونية، قوة قد تكون أخطر مما كانوا يتخيلون.

بينما كان الجميع يغرقون في أعمالهم وأفكارهم، بدأت الأجواء داخل النفق تصبح أكثر ثقلاً. كان الهواء يزداد كثافة، والظلال التي كانت تتراقص على الجدران بدت وكأنها تتحرك ببطء، كأنها تحيا وتراقب ما يجري. كان هناك شعور غريب يسيطر على المكان، شعور بأن الجبل نفسه على وشك أن يفتح بوابة إلى شيء غير معروف.

ريم، التي كانت تشعر بأن هناك شيئًا غير طبيعي يحدث، بدأت تشك في أن ما اكتشفته قد يكون أكثر خطورة مما كانت تعتقد. كانت الإشعاعات التي رصدتها تحمل طاقة لم تكن تستطيع تفسيرها. كان الأمر كما لو أن الذهب يحمل داخله نوعًا من الحياة، حياة تنتظر من يحررها. بدأت تشعر بأن الجبل قد يكون مستعدًا لأن يكشف عن نفسه بطرق لم يتوقعها أحد.

وفي نهاية اليوم الطويل، عندما بدأ الفريق في جمع معداتهم والاستعداد للعودة إلى السطح، كان الجميع يشعرون بأن شيئًا كبيرًا على وشك الحدوث. كانت الإشارات في الهواء، نبضات غير مرئية كانت تصدر من داخل الجبل، تشعرهم بأنهم على حافة اكتشاف شيء عظيم. كان هناك شعور بأن الجبل نفسه يراقبهم، ينتظر ليرى ما سيفعلونه بعد ذلك.

بينما كانوا يغادرون النفق، كانت عيونهم تتوجه نحو الجبل، الذي ظل واقفًا بصمت مهيب، يلمع ببريقه الغامض، وكأنه يحمي أسراره القديمة.

كان الجميع يعلمون أن الأيام القادمة ستكون حاسمة، وأن ما بدأ كتحقيق علمي قد يتحول إلى مواجهة مع قوى لا يمكن التحكم فيها. كانت الأساطير والحقيقة تتداخلان بشكل لم يتوقعه أحد، وكان الجبل الذهبي يظل صامداً، يلمع ببريقه الغامض، وكأنه ينتظر اللحظة التي يكشف فيها عن كامل قوته.

مع حلول الليل، وتلاشي الضوء تدريجيًا، كان هناك شعور بالرهبة يزداد. ريم، وهي تقف خارج النفق، رفعت عينيها إلى الجبل الذهبي الذي كان يلمع تحت ضوء النجوم. كانت تعرف في أعماقها أن ما اكتشفته ليس سوى البداية، وأن الجبل يحمل في داخله المزيد من الأسرار. كان هذا الجبل أكثر من مجرد كتلة من الذهب، كان قطعة من حضارة قديمة، أو ربما كان يحمل قوى روحانية قديمة تنتظر أن تُكتشف.

حسام، الذي كان يمسك بالمخطوطة بإحكام، شعر بأن الأيام القادمة قد تكون اختباراً له وللفريق بأكمله. كان هناك إحساس بأن كل شيء على وشك أن يتغير، وأنهم قد اقتربوا من نقطة اللاعودة. كان يعلم أن الجبل قد يكون المفتاح لفهم أسرار الطبيعة والبشر، ولكنه كان أيضًا يخشى ما قد يحدث إذا تم فتح هذا السر.

وفي نهاية ذلك اليوم، عندما عادوا إلى معسكرهم، كانت الأجواء مشبعة بالغموض والخوف. كان الجميع يعلمون أن الجبل قد بدأ في كشف أوراقه، ولكن لم يكن أحد يعلم ما الذي ينتظرهم في الأيام القادمة. كان الجبل الذهبي يقف شامخًا تحت ضوء القمر، يلمع ببريقه الغامض، وكأنه ينتظر اللحظة التي يُفتح فيها باب الأسرار على مصراعيه. كان الجبل يحمل في داخله أسراراً قديمة وقوى لا يمكن التحكم فيها، وكانت تلك الأسرار تنتظر من يكتشفها، ولكنها قد تجلب معها أيضًا الكارثة.

في قلب بغداد، حيث تتلاقى أصداء الماضي مع نغمات الحاضر، كان مبنى الحكومة العراقية يشعّ بروح تقاوم تقلبات الزمن. في هذا المساء الذي بدأت فيه الشمس تنسحب بهدوء نحو المغيب، كان الجو داخل غرفة الاجتماعات مشحونًا بتوتر لم تفلح جدران الغرفة السميكة في كتمه. أصوات خافتة تنبعث من مكيف الهواء، ورائحة الورق القديم تختلط مع عبق السجاد العتيق، كل ذلك ينسج خيوط قلق متوتر بين المسؤولين المجتمعين حول الطاولة المستديرة الكبيرة.

جلس أبو فاضل في مقعده المعتاد، وهو رجل تجاوزته التجارب وخبرته أزمات لا تحصى. كانت عيناه الهادئتان تراقبان وجوه المجتمعين، تتفرس في ملامحهم المتوترة، وكأنه يقرأ أفكارهم. يداه تتحركان ببطء على سطح الطاولة، وكأنه يوزن كلماته بعناية قبل أن ينطق بها. إلى جواره، كان وزير الدفاع يجلس مستقيمًا، وجهه المتجهم يعكس قسوة القرارات التي اعتاد اتخاذها، بينما كان وزير الاقتصاد يراجع التقارير بعينين متوجستين، يحاول أن يرى ما وراء الأرقام والاحصائيات.

دخل الشيخ حمدان، بخطوات ثابتة يكسوها وقار السنين، مجللا بجبة بيضاء ناصعة ولحية بيضاء تلامس صدره. تقدم ببطء نحو مقعده، يحمل بين طيات عقله حكايات أسلافه، وأساطير تعود لأزمنة بعيدة، تلك الأساطير التي تتحدث عن لعنة الجبل الذهبي الذي ظهر فجأة من عمق النهر. كانت عيناه العميقتان تتأملان وجوه الحاضرين، تتلمسان ما خلف الكلمات والنظرات.

بدأ أبو فاضل الحديث بصوت منخفض، لكن حازم: "أيها السادة، نلتقي اليوم في ظل حدث لم يشهده العراق منذ آلاف السنين. ظهور هذا الجبل

الذهبي قد جلب معه ضغوطًا لم تكن في الحسبان. العالم يترقب، وكل الأنظار تتجه إلينا. علينا أن نكون حذرين في خطواتنا القادمة".

توقف لبرهة، ثم أضاف وهو ينقل بصره بين المجتمعين: "الضغوط الدولية تتزايد. الجميع يريدون نصيبهم من هذا الاكتشاف. الشركات الكبرى ترسل عروضها، والدول تتواصل معنا مباشرة. نحن نواجه خياراً صعبًا بين استغلال هذا الكنز وبين الحفاظ على ما قد يكون نعمة أو لعنة على بلدنا".

انزلق صمت ثقيل في الغرفة، تخلله فقط صوت الرياح العابرة من خلال النوافذ الموصدة بإحكام. لم يكن أحد يرغب في كسر هذا الصمت، إلا أن وزير الاقتصاد، برغم شحوب وجهه وارتجاف أصابعه، بادر بالكلام: "أبو فاضل، نحن نتحدث عن فرصة لا تتكرر. يمكن لهذا الجبل أن ينتشلنا من أزماتنا الاقتصادية، يمكننا استغلال الذهب لإعادة بناء العراق، لتطوير بنيته التحتية وتحسين مستوى حياة مواطنينا. لا يمكننا أن نتجاهل هذه الفرصة".

كان كلام الوزير يخرج متقطعًا، وكأنه يحاول إقناع نفسه قبل أن يقنع الآخرين. لكن قبل أن يجيب أحد، رفع الشيخ حمدان يده بهدوء، فوجهت جميع الأنظار نحوه. نظر إليهم بعينين مثقلتين بالحكمة، وبدأ يتحدث بصوت هادئ لكن عميق: "أيها الأخوة، إن ما ظهر أمامنا ليس مجرد جبل، إنه إرث من العصور الغابرة، يحمل في طياته أسراراً لا ندركها. النبوءات القديمة تحدثت عن هذا الجبل، وقالت إنه اختبار من السماء، لا ينبغي أن نتعامل معه بخفة. لقد أُخفي هذا الجبل عنا لقرون لأسباب تتعلق بأخلاقنا، وعلينا الآن أن نتساءل: هل نحن على استعداد لتحمل مسؤولية ما قد يأتي من وراء هذا الذهب؟"

ساد الصمت مجدداً، لكن هذه المرة كان محمّلا بعبء الحقيقة التي لا يريد أحد أن يعترف بها. بدا وكأن الجميع كانوا يشعرون بثقل كلمات الشيخ، وكأنها تُلقي بظلالها على قراراتهم المستقبلية.

وزير الدفاع، الذي كان يراقب المشهد بصمت طوال الوقت، قرر أن يكسر الجمود. قال بصوت عميق ومليء بالثقة: "لكن يا شيخ حمدان، نحن نواجه واقعًا سياسيًا واقتصاديًا معقداً. إذا لم نكن نحن من يحمي هذا الجبل ويستغله بحكمة، فسوف يأتي آخرون ليفعلوا ذلك بدلاً منا. يجب أن نكون على أهبة الاستعداد، وأن نضع خططًا دقيقة لحمايته".

أجاب الشيخ بنبرة لم تخل من الحزم: "أنا لا أدعو للتخاذل، ولكنني أحذركم من الاستعجال. هذا الجبل هو رسالة من الماضي، ومفتاح لفهم طبيعة علاقاتنا مع الأرض ومع القوى التي تحكم هذا الكون. علينا أن نتحلى بالحكمة، وأن نتذكر أن القوة التي بين أيدينا قد تنقلب علينا إن لم نكن أهلا لها".

في تلك اللحظة، شعر الجميع أن النقاش قد بلغ مرحلة حساسة. كانت الأفكار تتصارع في رؤوسهم، والرغبة في استغلال هذا الاكتشاف تتنازع مع الخوف من العواقب غير المتوقعة. كان واضحًا أن القرار الذي سيتم اتخاذه لن يكون سهلاً، وأنه سيكون له تأثيرات بعيدة المدى.

أبو فاضل، الذي ظل يستمع بهدوء، شعر بأن الوقت قد حان للتدخل. قال بصوت هادئ لكنه مليء بالعزم: "يبدو أن ما نحتاج إليه الآن هو التروي والتفكير العميق. سأقترح تشكيل لجنة من الخبراء تضم علماء الدين، الجيولوجيا، والتاريخ، لدراسة هذا الجبل وتقديم توصيات متوازنة حول كيفية التعامل معه. في الوقت ذاته، سنتخذ جميع التدابير

اللازمة لحمايته من أي تدخل خارجي، وسنتواصل مع المجتمع الدولي لتوضيح موقفنا وحماية حقوقنا".

أومأ الجميع بالموافقة، لكن القلق ظل مخيمًا على الوجوه. كانوا يدركون أن الأيام القادمة ستكون حاسمة في تحديد مصير هذا الجبل، وربما في تحديد مصير العراق بأسره. كان التحدي أكبر من مجرد اتخاذ قرار سياسي أو اقتصادي، كان يتطلب مواجهة مخاوفهم وأفكارهم المسبقة.

وقبل أن ينفض الاجتماع، وقف الشيخ حمدان، ووجه نظره نحو الجميع وقال بهدوء: "تذكروا، أيها السادة، أن ما نواجهه ليس مجرد قرار مادي. نحن نواجه اختباراً لقيمنا وأخلاقنا. إذا تجاوزنا هذا الاختبار بنجاح، فسنكون قد أثبتنا أننا أهلٌ لهذه الأرض وكنوزها. ولكن إن فشلنا، فلن يكون هناك ما يمكننا فعله لدرء العواقب".

غادر الشيخ الغرفة ببطء، وخلفه ترك الجميع يفكرون في كلامه. كانت كلماته تحمل وزنًا كبيراً، وكأنها تلخص آلاف السنين من الحكمة في بضع جمل. شعور بالتوتر والترقب سيطر على الحاضرين، كانوا يعلمون أن ما سيحدث في الأيام القادمة سيحدد مصيرهم ومصير هذا الجبل الغامض.

بينما بدأ الجميع يغادرون الغرفة، بقي أبو فاضل جالسًا في مقعده، يتأمل في ما دار من نقاشات. كان يدرك أن المهمة التي تنتظرهم ليست سهلة، وأنه قد يحتاج إلى كل ما تعلمه خلال سنوات خدمته ليتمكن من توجيه دفة الأمور نحو بر الأمان ولصالحه. شعر بثقل القرار الذي يجب أن يتخذه. .

حين غادر الجميع الغرفة، بقى أبو فاضل يتأمل أوراق الاجتماع المنتشرة على الطاولة. سحب ورقة بيضاء وبدأ يكتب عليها نقاطًا قد تكون الأساس لخطة المستقبل. كانت الشمس قد غابت تمامًا، وبدأت الأضواء الداخلية للمبنى تتخذ مكانها. انعكست هذه الأضواء على الورق، وكأنها تضيء له طريق التفكير.

في تلك اللحظة، شعر أبو فاضل بثقل القرار الذي يجب اتخاذه، ولكن في نفس الوقت كان يشعر بأن العراق قد وُضع أمام اختبار عظيم، وأنه جزء من هذا الامتحان. أدرك أن هذه اللحظة ليست لحظًة اتخاذ قرار سياسي فقط، بل هي لحظة تأمل عميق في معنى القوة، الثروة، والحكمة. أدرك أن هذا الجبل ليس مجرد كنز مخفي، بل هو رمز لما يمكن أن يحدث عندما تجتمع الطموحات مع الأخلاق، وعندما يتلاقى الماضي مع الحاضر.

غادر الغرفة ببطء، تاركًا وراءه أوراق الاجتماع فوق الطاولة. كان يعلم أن ما ينتظره في الأيام القادمة ليس مجرد تحد إداري، بل تحد روحي وفكري. وبينما كان يسير في الممر الطويل المؤدي إلى مكتبهً، كانت الأفكار تتصارع في رأسه، لكنه كان يعلم في أعماق قلبه أن الإجابات ستأتي، ربما ليس الآن، ولكنها ستأتي في الوقت المناسب.

وفي الخارج، كانت بغداد تواصل حياتها، الأضواء تنعكس على نهر دجلة، والسيارات تتحرك بهدوء في الشوارع. لكن في مكان ما، في عمق نهر الفرات، كان الجبل الذهبي يقف شامخًا، يحمل في صمته أسرار العصور الماضية ورسائل لم يُفصح عنها بعد. كانت هذه الأسرار تنتظر من يكتشفها، من يفهمها، ومن يعيد كتابة التاريخ وفقًا لما يخبره هذا الجبل.

كان الجبل الذهبي الذي ظهر منذ شهر على ضفاف نهر الفرات قد تحول إلى مركز للنشاط المحموم، حيث نصبت الشركات الخاصة معسكراتها وأحضرت معداتها الثقيلة، لتحول المكان إلى مشهد لا يهدأ. تعالت أصوات الآلات، وشقت الأنوار طريقها عبر الظلام الدامس، لتخلق وهجًا صناعيًا فوق هذه الأرض التي لم تعرف مثل هذا النوع من النشاط منذ قرون. كان الليل والنهار يتداخلان، إذ لم تعد هناك فواصل زمنية واضحة؛ فالعمل لا يتوقف، والموقع يعج بالضوضاء والحركة.

وسط هذا المشهد المحموم، وقف الدكتور حسام على أطراف الموقع، يراقب بحذر ما يجري حوله. كانت عيناه المتعبتان تنتقلان بين شاشات المراقبة وأجهزة القياس التي تتابع أدق التغيرات في الأرض. شعر بشيء غريب منذ أن بدأ العمل هنا، وكأن هناك قوى غير مرئية تراقبهم بصمت. كلما نظر إلى الجبل، شعر بشيء يشبه الهمس في أذنه، همس ينذره بأن هذا المكان ليس كأي مكان آخر، وأن ما يجري هنا يتجاوز حدود العلم والمنطق.

الشيخ حمدان، الذي ظل بعيدًا عن الأنظار، اتخذ موقعه على تلة تطل على الموقع. كانت عيناه المخضبتان بحكمة السنين تتأملان المشهد من بعيد، وكأنهما تخترقان طبقات الصخور الذهبية لتصل إلى جوهر الجبل. كان يدرك أن ما يحدث هنا ليس مجرد أعمال تنقيب، بل هو اختبار لم يصمد أمامه كثيرون من قبل. كان يشعر بأن الأرض تتحرك، وأنها تستعد لرد فعل قاسٍ على هذا التدخل البشري.

مع مرور الأيام، بدأت الأرض تُظهر علامات عدم ارتياحها. في إحدى الليالي، حيث كانت السماء ملبدة بسحب ثقيلة تنذر بعاصفة قادمة، بدأت الأرض تهتز تحت أقدام العمال. كانت الهزة خفيفة في البداية،

ولكن سرعان ما تحولت إلى زلزال عنيف. شعر الجميع بأن شيئًا رهيبًا يحدث، وكأن الجبل نفسه ينهض من نومه العميق. صرخات العمال تعالت وسط هدير الآلات التي بدأت تتمايل بفعل الهزات المتزايدة، بينما ركض الجميع بحثًا عن مأوى يحميهم.

في تلك اللحظات، شعر الدكتور حسام بالرعب يتسلل إلى قلبه. لم يكن هذا مجرد زلزال عادي، بل كان شيئًا أكبر من ذلك بكثير. كان يرى الجبل يتصدع، والصخور تتهاوى، وكأنها تعبر عن غضب عتيق. وبينما كانت الأرض تئن تحت وطأة الزلزال، بدأت القشرة الذهبية للجبل تتشقق، وتنهار بشكل درامي. بدت هذه القشرة وكأنها تخفي تحتها شيئًا أعمق وأغمق، كتلة من الصخور الداكنة التي لم يسبق لأحد أن رآها من قبل. كان المشهد أشبه برؤية وحش قديم يعود إلى الحياة، يتنفس من جديد وسط الركام.

في تلك الأثناء، كانت القوى الروحية التي حذر منها الشيخ حمدان تستيقظ ببطء. كانت هذه القوى، التي ظلت راقدة في عمق الجبل لآلاف السنين، تبدأ في التأثير على عقول ونفوس كل من اقترب من الجبل. البعض شعر بدوار مفاجئ، بينما رأى آخرون هالات من الضوء تحوم حولهم. كان هذا الضوء ينبعث من داخل الجبل، وكأنه يريد أن يعبر عن ذاته، أن يظهر للعالم أنه ليس مجرد كومة من الذهب، بل كيان حي ينبض بالحياة والذكريات القديمة.

وبينما كانت الهزات تتزايد، بدأ نهر الفرات بالانحسار بشكل غريب، وكأن المياه تفر من شيء لا يمكنها مواجهته. في لحظة مرعبة، انفجرت المياه بقوة هائلة، متدفقة في الاتجاه المعاكس، محدثة فيضانًا عظيمًا جرف معه

كل شيء في طريقه. كانت الأمواج العالية تحمل الطين والصخور، وتغمر كل ما يقف في طريقها، وكأن النهر ذاته يريد محو آثار الجشع البشري.

كان الدكتور حسام يراقب ما يحدث بعينين مشدوهتين، يشعر بأنه يرى ما هو أكثر من مجرد كارثة طبيعية. كان يرى مشهداً يبدو وكأنه من عالم آخر، حيث بدأت الأرض تُظهر قوتها الحقيقية. رأى العمال يسقطون على ركبهم، يغرقون في مياه الفيضان، بينما كانت الآلات الضخمة تتلاشى تحت الأمواج الغاضبة. شعر بأن هذا المشهد هو بمثابة تحذير للعالم، بأن ما فعلوه هنا كان خطأً فادحًا.

في وسط هذه الفوضى، بدأت الهلاوس تسيطر على بعض العمال. رأى بعضهم وجوهًا غريبة تطفو على سطح الماء، وجوه تحمل ملامح من الماضي، من عصور قديمة كانت هذه الأرض قد شهدتها من قبل. كانت الأصوات الغريبة تتردد في رؤوسهم، تدعوهم للابتعاد، تحذرهم من الاقتراب أكثر من الجبل. كانت هذه الأصوات قادمة من أعماق الجبل، كأنها أرواح حامية تحاول إبعاد الطامعين.

الشيخ حمدان، الذي كان يراقب من بعيد، شعر بأن الوقت قد حان للتحرك. تقدم ببطء نحو الموقع، رافعًا يديه إلى السماء، وكأنه يحاول التواصل مع القوى التي تحكم هذا المكان. كانت عيناه تغمرهما دموع حزن عميق، وهو يدرك أن النبوءة التي تحدث عنها كانت تتحقق أمامه. لم يكن بإمكانه إيقاف ما يحدث، ولكنه كان يعلم أنه يجب أن يحاول إنقاذ من يمكن إنقاذه. بدأ في ترديد الأدعية القديمة، كلمات مليئة بالحكمة والتوسل، على أمل أن تردع الكارثة ولو قليلاً.

بينما كان الجبل ينهار بشكل كامل، تصاعدت سحابة من الغبار الذهبي إلى السماء، ممزوجة برذاذ الماء والطين. كانت السماء تبدو وكأنها قد

انقسمت إلى نصفين؛ نصف يغمره الظلام، ونصف مشع بهذا الغبار الغريب الذي يعكس ضوء النجوم. كان المشهد يشبه نهاية العالم، حيث تتداخل الألوان والأصوات في لوحة كابوسية تثير الرعب والإعجاب في نفس الوقت.

في النهاية، ومع انحسار الهزات وانخفاض مستوى المياه، كانت الأرض تبدو وكأنها قد هدأت بعد غضب عارم. لكن المشهد الذي تبقى كان مشهداً من الدمار الكامل. الجبل الذهبي لم يعد موجوداً، بل تحولت قمته إلى حطام مختلط بالطين والماء. أما العمال القلائل الذين نجوا، فكانوا يقفون في صمت، يحدقون في الفراغ بعيون خاوية، غير قادرين على استيعاب ما حدث.

الدكتور حسام، الذي نجا بأعجوبة، جلس على الأرض المبللة، وعيناه تحدقان في الحطام الذي كان يومًا ما جبلا ذهبيًا. لم يكن هذا المشهد مجرد تدمير لمشروع علمي، بل كان دماراً لأحلامه ولإيمانه المطلق بالعلم. أدرك أن هناك قوى في هذا العالم لا يمكن تفسيرها أو التحكم فيها. قوى تتجاوز حدود المعرفة البشرية، وأنه كان جزءًا من شيء أكبر وأعمق مما تخيله.

وفي النهاية، وقف الشيخ حمدان على تلة صغيرة، ينظر إلى ما تبقى من الموقع. كانت عيناه تشعان بحزن واستسلام، وهو يدرك أن ما حدث هنا سيكون درسًا قاسيًا للبشرية. رفع يديه إلى السماء مرة أخرى، لكن هذه المرة لم يكن يتوسل، بل كان يعبر عن استسلامه لإرادة القدر. كان يعلم أن هذا الجبل لم يكن مجرد كومة من الذهب، بل كان رمزًا للقوة الغامضة التي تحكم هذا العالم. قوة يجب أن تحترم، وأن تُقدّر، لا أن تُستغل.

مع تلاشي النهار وبدء الليل في بسط سيطرته على الأرض، كان الموقع يغرق في الظلام. لم يبق سوى آثار الدمار التي ستحمل ذكرى هذا اليوم

إلى الأبد. الجبل الذهبي قد اختفى، لكن الروح التي تحكمه لا تزال حية. روح لن تنسى أبداً ما حدث هنا، ولن تسمح للبشر بأن يعبثوا بقوتها مرة أخرى.

كان الدكتور حسام يعلم أن ما حدث سيظل يطارده لبقية حياته. كان يعلم أنه سيعود إلى مدينته، ولكنه سيعود شخصًا مختلفًا. شخصًا يحمل في داخله معرفة جديدة، ومعرفة مرعبة، عن حدود العلم وعن القوة الغامضة التي تحكم هذا العالم.

وفي نهاية المطاف، وبينما كان الجميع يغادرون الموقع، شعروا بأن الأرض قد استعادت هدوءها. لكن هذا الهدوء لم يكن هدوءاً عاديًا، بل كان هدوءاً مشوبًا بالحذر. كانت الأرض تنتظر، كما لو كانت تحذر من أن أي محاولة أخرى لاستغلال قوتها ستُقابل برد فعل أعنف.

كانت هذه نهاية الجبل الذهبي، ولكنها كانت بداية لشيء آخر. بداية لفهم أعمق للعلاقة بين البشر والطبيعة، وبين العلم والقوى الروحية. كان الدرس الذي تعلموه هنا سيدوم طويلا، وسيظل يحفر في ذاكرتهم كذكرى لا تُنسى. كان الجبل قد تحدث، وكانت رسالته واضحة: هذه الأرض ليست مجرد مورد، بل هي كيان حي يجب أن يُحترم ويُحب، وليس أن يُستغل.

****

في مخيم النازحين الذي أُقيم على عجل بعد الكارثة المروعة، كان الجو مشبعًا برائحة الخوف والتعب. الخيام البيضاء تنتشر على امتداد البصر، وسط أرضية متشققة من أثر الجفاف الذي خلفته الكارثة. أطفال يجرون هنا وهناك، وجوههم مغبرة وعيونهم تبحث عن ذويهم في هذه الفوضى التي أحكمت قبضتها على الجميع. أصوات البكاء تملأ الأرجاء، تختلط مع نداءات الأهالي الذين يبحثون عن أحبائهم. كانت الشمس تعلو في السماء، ترسل أشعتها الحارقة على هذه الأرض التي لم تعرف الرحمة منذ أن وقعت الكارثة.

ديما، الصحفية الشابة التي اشتهرت بقدرتها على الوصول إلى الحقائق مهما كانت مخفية، كانت تتجول بين الخيام بعينين ملؤهما القلق والحيرة. كانت قد وصلت إلى المخيم في وقت مبكر من هذا الصباح، مدفوعة برغبتها في معرفة ما حدث حقًا في تلك الليلة الرهيبة. الكارثة التي شهدها موقع الجبل الذهبي لم تكن مجرد كارثة طبيعية في نظرها؛ كانت هناك خيوط غامضة تربط بين الأحداث، وكانت ديما مصممة على فك تلك الخيوط واحدة تلو الأخرى.

بينما كانت ديما تتنقل بين النازحين، كانت تستمع إلى قصصهم، وتلتقط كل كلمة وكل تفصيل يمكن أن يساعدها في تكوين صورة أوضح عما حدث. كانت تحمل معها دفترًا صغيرًا، تدون فيه ملاحظاتها بسرعة، وعقلها يعمل بسرعة أكبر، يحاول ربط الأحداث ببعضها البعض. كلما تحدثت إلى أحد الناجين، شعرت أن هناك شيئًا غير طبيعي يحدث هنا، وأن الحقائق التي تظهر على السطح ليست سوى جزء صغير من القصة الكاملة.

في إحدى الخيام الكبيرة، كانت مجموعة من النساء الجالسات على الأرض يتهامسن بصوت خافت. اقتربت منهن ديما بحذر، وجلست بجوارهن، عارضة عليهن المساعدة في محاولة لجعلهن يشعرن بالراحة. بدأت إحداهن، وهي امرأة مسنة ذات شعر رمادي ووجه مليء بالتجاعيد، في الحديث بصوت مرتجف: "لقد رأيتهم... أولئك الذين كانوا هناك، في الليلة التي بدأ فيها الجبل ينهار. لم يكونوا من هنا، كانوا غرباء، وعيونهم كانت باردة مثل الجليد".

رفعت ديما رأسها بانتباه، شعرت أن هذه الكلمات تحمل في طياتها شيئًا مهمًا. سألت المرأة بهدوء: "ماذا تقصدين بالغريبين؟ هل كانوا من الجنود؟"

هزت المرأة رأسها بسرعة، وبدت وكأنها تفكر في كيفية وصف ما رأته: "لا، ليسوا جنودًا. كانوا يرتدون ملابس سوداء، ويتحدثون بلغة لم أفهمها. لكنني رأيتهم بالقرب من الجبل، كانوا يراقبون كل شيء بعناية، وكأنهم كانوا ينتظرون حدوث شيء ما".

شعرت ديما بأن هناك شيء غير مألوف يحدث هنا، وأن هذا الكلام قد يكون مفتاحًا لفهم ما جرى. سألت المرأة مرة أخرى: "هل تستطيعين أن تصفي لي المزيد عن هؤلاء الأشخاص؟"

تنهدت المرأة، وكأنها تحاول تذكر المزيد: "كانوا يقودون سيارات سوداء، وتحتوي على أجهزة لم أرَ مثلها من قبل. كانوا يتحركون بهدوء، وكأنهم يعرفون طريقهم جيدًا. ثم، عندما بدأت الأرض تهتز، اختفوا فجأة، وكأنهم لم يكونوا هناك أبدًا".

أدركت ديما أن ما تقوله المرأة قد يكون دليلا على تدخل قوى خارجية. كتبت ملاحظاتها بعناية، ثم شكرتها على وقتها. شعرت ديما أن هذا الحوار البسيط قد يكون بداية لخيط يمكن أن يقودها إلى الحقيقة.

بعد مغادرتها الخيمة، قررت ديما البحث عن ناجين آخرين قد يكون لديهم المزيد من المعلومات. كانت تعرف أن الوقت ليس في صالحها، وأن عليها الوصول إلى الحقائق قبل أن تُطمس من قبل أولئك الذين لا يريدون لها أن تظهر. وبينما كانت تتجول في المخيم، قابلت رجلا شابًا يحمل في عينيه نظرة من رأى ما لا يستطيع أن ينساه. تقدمت نحوه بحذر، وسألته إذا كان يمكنه التحدث عن ما رآه.

بدأ الشاب يتحدث بصوت مبحوح: "كنت أعمل في الموقع، كنت هناك عندما بدأت الأرض تهتز. رأيت كيف بدأت الصخور تتساقط، وكيف تحولت المياه إلى فيضان هائل. لكن هناك شيء آخر رأيته، شيء لا أستطيع أن أنساه." توقف لبرهة، ثم تابع بصوت أهدأ: "قبل أن يبدأ كل شيء، رأيت طائرة تحلق فوق الجبل. كانت صغيرة وسريعة، ولا تشبه أي طائرة رأيتها من قبل. كانت تحوم حول الجبل لبضع دقائق، ثم اختفت بسرعة".

شعرت ديما بأن هذه المعلومات تزيد من تعقيد الصورة. الطائرة التي تحدث عنها الشاب قد تكون جزءًا من خطة أكبر، ربما كانت هناك مراقبة أو حتى تدخل مباشر من قوى خارجية. شكرته على ما قاله، وأخذت تدوين كل ما ذكره بعناية.

بينما كانت ديما تقترب من نهاية يومها الطويل في المخيم، شعرت أن هناك شيئًا لا يزال مفقودًا. كانت المعلومات التي جمعتها مهمة، لكنها كانت بحاجة إلى تأكيدات أو أدلة إضافية. وبينما كانت تهم بالمغادرة، تقدم

نحوها رجل مسن يرتدي معطفًا قديمًا، وكان واضحًا أنه عاش حياة مليئة بالتجارب. اقترب منها وقال بصوت خافت: "سمعت أنك تبحثين عن الحقيقة".

نظرت ديما إليه بترقب، وأومأت برأسها. ابتسم الرجل قليلا وقال: "أعرف أنك صحفية، وأعرف أن ما تبحثين عنه ليس مجرد قصص للناجين. هناك أشياء تجري تحت السطح، أشياء لا يعرف عنها معظم الناس شيئًا".

كان صوت الرجل ينم عن معرفة أعمق مما توقعته ديما. سألته بحذر: "ماذا تعرف؟"

نظر الرجل حوله للتأكد من عدم وجود من يستمع، ثم قال: "الأمر أكبر مما تتخيلين. هناك قوى عالمية مهتمة بما يخفيه الجبل الذهبي. هذه القوى ليست هنا للمساعدة، بل لتأمين مصالحها. لقد كانت هناك ترتيبات تجرى في السر، وأعتقد أن ما حدث لم يكن مجرد كارثة طبيعية".

شعرت ديما بأن قلبها يخفق بسرعة، كانت تعلم أن هذه الكلمات قد تحمل الحقيقة التي تبحث عنها. سألته بصوت مليء بالاهتمام: "هل لديك دليل على ما تقول؟"

هز الرجل رأسه ببطء: "الأدلة ليست مكتوبة، لكنها موجودة في الأحداث. فكرّي في التوقيت، في الأشخاص الذين كانوا هنا، في الطائرة التي تحوم في السماء. كل شيء مرتبط ببعضه البعض. إنهم يريدون السيطرة على الجبل بأي ثمن، لأنهم يعتقدون أن فيه سرًا يمكن أن يمنحهم القوة".

شعرت ديما بأنها على وشك اكتشاف شيء كبير، شيء قد يغير كل ما عرفته عن الكارثة. شكرته على المعلومات، وطلبت منه أن يبقى على تواصل إذا ما توصل إلى أي شيء جديد. كان في داخله خوف من أن يتم إسكات كل من يحاول كشف الحقيقة، لكنه وعدها بأنه سيفعل ما بوسعه.

في طريقها إلى سيارتها، كانت ديما تفكر بعمق في كل ما سمعته. كانت تعلم أن الطريق نحو الحقيقة مليء بالمخاطر، لكن شجاعتها وإصرارها على كشف ما حدث لم يتزعزعا. كان عليها الآن أن تتعمق أكثر، أن تبحث في كل زاوية وتفتح كل باب مغلق.

وصلت ديما إلى سيارتها، وجلست خلف المقود، وأخذت نفسًا عميقًا. كانت تعرف أن ما أمامها ليس مجرد تحقيق صحفي، بل هو معركة ضد قوى تحاول إخفاء ما حدث. بدأت تفكر في الخطوات التالية، كانت بحاجة إلى الاتصال بمصادر أخرى، وربما حتى التواصل مع جهات خارجية يمكنها تقديم المزيد من المعلومات.

لم تكن ديما مستعدة للاستسلام بسهولة. كان لديها شعور داخلي بأن ما اكتشفته اليوم ليس سوى قمة الجبل الجليدي، وأن الحقيقة الكاملة قد تكون أكبر وأخطر مما كانت تتوقع. كانت تعلم أن الطريق سيكون طويلا وشاقًا، لكن كان لديها إصرار على كشف الحقيقة، مهما كانت العواقب.

بينما كانت الشمس تغرب خلف الأفق، وتلقي بظلالها الطويلة على المخيم، كانت ديما تقود سيارتها بعيداً، تاركةً وراءها أرضًا مليئة بالقصص غير المروية والأسرار التي تنتظر من يكشفها. كانت مصممة على أن تكون هي الشخص الذي سيكشف تلك الأسرار، ويضع النقاط على الحروف.

وكانت تعلم أن الوقت ليس في صالحها، وأن كل لحظة تمضي تقربها أكثر من الخطر.

لكن ديما لم تكن خائفة. كانت تعرف أن هذا هو مسارها، وأنها يجب أن تتبعه حتى النهاية، مهما كانت الصعاب. كانت تعرف أن العالم بحاجة إلى معرفة الحقيقة، وأنه لا يمكن السماح للقوى الخفية بأن تظل مسيطرة في الظلام. كان في قلبها يقين بأنها ستصل إلى ما تسعى إليه، وستجعل الحقيقة تخرج إلى النور.

القسم الرابع :

كان معسكر البحث العلمي ينتصب في وسط الصحراء، كواحة من النشاط العلمي وسط بحر من الرمال المتحركة. الخيام البيضاء، التي نصبت على عجل بعد الكارثة، بدت كأشباح في ضوء القمر الخافت، تلمع تحت السماء المرصعة بالنجوم. كان الهدوء المخيم على المكان يخفي وراءه صخبًا داخليًا من الأفكار والقلق، حيث لم يكن العلماء في هذا المعسكر يتعاملون مع مجرد حفريات أو مواد جيولوجية عادية. كان هناك شيء أكبر، شيء يتجاوز فهمهم.

في إحدى الخيام الكبيرة، جلس حسام على كرسي متهالك، محاطًا بأوراق وتقارير تفيض من الطاولة. عيناه كانتا مثبّتتين على الشاشة أمامه، لكن عقله كان يسبح في أفكار تتشابك كخيوط العنكبوت. بجانبه، كانت ريم تقلب في وثيقة قديمة بعناية، وكأنها تخشى أن تنكسر بين يديها. كانت تلك الوثيقة قديمة قدم الزمن نفسه، مليئة بالرموز والنقوش التي تشير إلى حضارة مفقودة. الحضارة التي ربما كانت السبب وراء كل ما يحدث الآن.

"حسام، هل أدركت ما يعنيه هذا؟" همست ريم، وكأنها تخشى أن يسمعها أحد. كانت كلماتها محملة بالرعب والدهشة في آن واحد.

هز حسام رأسه ببطء، محاولا تجميع أفكاره المتناثرة. "نعم، ريم. هذا الذهب. . . هذه المادة الغريبة ليست من هنا. إنها ليست من الأرض على الإطلاق." قالها بنبرة حاولت أن تخفي اضطرابه لكنها فشلت. كان يعلم أن ما يقوله قد يبدو كجنون، لكنه كان متأكدًا من أن التحليلات لا تكذب. "لقد حللنا تركيبته عشرات المرات، وكل مرة كانت النتائج تشير

إلى شيء غير طبيعي. تركيبته المعدنية تتحدى كل ما نعرفه عن علم الجيولوجيا".

ريم، التي كانت دائمًا تؤمن بالعلم والمنطق، وجدت نفسها في مواجهة شيء يتحدى كل منطقها. "لكن كيف؟ كيف يمكن أن يكون هناك شيء كهذا هنا على الأرض؟ هل تعتقد أن حضارة قديمة اكتشفته أو ربما... جلبته من مكان آخر؟" كانت كلماتها تخرج ببطء، وكأنها تحاول أن تزن كل كلمة بعناية.

في تلك اللحظة، دخل زيد إلى الخيمة. كان جيولوجيًا مخضرمًا، وخبيراً في دراسة التكوينات الأرضية القديمة. لكن حتى خبرته الواسعة لم تكن كافية لتفسير ما رآه هنا. كان يحمل بين يديه خريطة قديمة، مغطاة بالغبار، وعيناه تحملان قلقًا لم يعهدهما الآخرون فيه من قبل.

"وجدت شيئًا قد يكون مفتاحًا لفهم ما يحدث هنا." قال زيد وهو يضع الخريطة على الطاولة أمامهما. كانت الخريطة تُظهر المنطقة المحيطة بالجبل، لكنها كانت مليئة برموز غريبة ونقوش تشبه الكتابات القديمة. "هذه الخريطة تعود لآلاف السنين. إنها تشير إلى وجود حضارة قديمة هنا، حضارة لا نعرف عنها شيئًا. ربما كانت هذه الحضارة هي التي اكتشفت الذهب أو استخدمته بطرق لا يمكننا حتى أن نتخيلها".

حسام نظر إلى الخريطة بعينين تحملان المزيد من الأسئلة أكثر من الإجابات. "هل تعتقد أن هذه الحضارة كانت تستخدم الذهب لشيء ما؟ ربما كانت تعتبره مقدسًا، أو ربما كان يحمل نوعًا من الطاقة التي لا نفهمها؟" تساءل حسام بصوت خافت، وكأن الإجابة قد تكون قريبة ولكنها بعيدة في الوقت نفسه.

ريم، التي كانت تراقب النقوش بعناية، بدأت تدرك أن هناك شيئًا أكبر بكثير مما كانوا يتعاملون معه. "زيد، هذه النقوش... تبدو وكأنها تحذر من شيء ما. ربما كانوا يعرفون أن هذا الذهب يحمل قوة لا يجب العبث بها. ربما تركوا هذه الرموز كتحذير لنا".

كان الجو في الخيمة ثقيلا، محمّلا بمعنى أعمق لكل كلمة تُقال. كان الجميع يدركون أن ما اكتشفوه قد يغير كل شيء. كان الصراع الداخلي يزداد وضوحًا لدى حسام، الذي وجد نفسه أمام قرار مصيري. "ماذا لو نشرنا هذه المعلومات؟" سأل حسام، وهو يعلم أن نشر هذه الحقائق قد يفتح الباب أمام قوى لا يمكن السيطرة عليها. "هل نحن مستعدون لتحمل مسؤولية ما قد يحدث؟"

زيد، الذي كان دائمًا يتخذ القرارات بناءً على الحقائق العلمية، وجد نفسه يتردد لأول مرة في حياته. "إذا احتفظنا بهذه المعلومات لأنفسنا، قد نكون نحمي البشرية من كارثة. لكن إذا أخفيناها، فقد نكون نخون العلم والمبادئ التي نؤمن بها." كانت كلماته تعكس الصراع الذي يعيشه الجميع هنا، صراع بين رغبة في كشف الحقيقة وخوف من العواقب.

في هذه اللحظة، شعر حسام بأن عليه أن يكون أكثر حكمة من أي وقت مضى. كانت رؤيته للعالم تتغير أمام عينيه، وكانت هذه الرؤية الجديدة محملة بالمسؤولية والخوف. "ربما علينا أن نتشاور مع آخرين، علماء، وحتى قادة سياسيين. يجب أن نفكر في العواقب قبل أن نكشف هذه الحقيقة للعالم".

ريم، التي كانت تحاول فك رموز النقوش، رفعت رأسها وقالت: "أعتقد أن علينا أيضًا أن نستمر في البحث. إذا فهمنا أكثر عن هذه الحضارة وعن

كيفية استخدامهم للذهب، قد نتمكن من اتخاذ قرار أفضل. ربما هناك نصوص أو أدلة أخرى في المنطقة يمكن أن تكشف لنا المزيد".

بينما كانت الأفكار تتشابك في عقولهم، بدأ الليل يزحف ببطء على المعسكر. الرياح كانت تعصف بالخارج، وكأنها تعبر عن القلق الذي يشعر به الجميع في الداخل. كان حسام يعرف أن هذه الليلة لن تكون هادئة، وأن النوم سيكون بعيد المنال.

خرج حسام من الخيمة لينظر إلى السماء المظلمة. كانت النجوم تتلألأ فوقه، كأنها تراقب ما يحدث على الأرض بصمت. شعر ببرودة الهواء على وجهه، وأدرك أن هذه الليلة قد تكون بداية لشيء أكبر مما يمكن أن يتخيله. كان يعلم أن العالم لن يكون كما كان بعد هذا الاكتشاف.

عاد إلى الخيمة ليجد ريم وزيد قد بدآ في دراسة المزيد من الوثائق. كان الضغط يزداد، وكانت الساعات تمر ببطء، لكنهم كانوا يعلمون أن كل لحظة قد تكون حاسمة. كانوا يعلمون أن ما اكتشفوه قد يكون مفتاحًا لفهم ماضٍ قديم، وربما مستقبل غير معروف.

مع اقتراب الفجر، شعر حسام بالتعب يتسلل إلى جسده، لكن فضوله وإصراره على فهم الحقيقة كانا أقوى من التعب. "علينا أن نكون مستعدين لمواجهة أي شيء قد يحدث. هذه ليست مجرد رحلة علمية، إنها مسؤولية كبيرة".

ريم، التي كانت تراقب النقوش عن كثب، شعرت بأنها تقترب من كشف سر دفين. "حسام، هناك شيء هنا... ربما تكون هذه الرموز جزءًا من رسالة تركتها هذه الحضارة. رسالة تحذرنا من تكرار أخطائهم".

هز زيد رأسه موافقًا. "نعم، ربما كانت هذه الحضارة قد دمرت بسبب إساءة استخدام هذه القوة. علينا أن نتعلم من ماضيهم لنحمي حاضرنا".

بينما كان الفجر يشق طريقه عبر السماء، نظر حسام إلى زملائه وقال بصوت مليء بالتعب ولكن مليء بالأمل: "لدينا الكثير لنتعلمه، لكن يجب أن نكون حذرين. هذه الحقيقة قد تكون أكبر مما نستطيع تحمله".

مع بزوغ الشمس، كان الفريق يعلم أن يومًا جديدًا من البحث والتحدي قد بدأ. كانت الحقيقة تنتظر من يكشفها، ولكن الطريق كان مليئًا بالمخاطر. كانوا على وشك اكتشاف شيء قد يغير العالم إلى الأبد، وكانت رحلتهم قد بدأت للتو.

****

في عمق بغداد، حيث تتداخل أزقة المدينة القديمة مع الحداثة المتسارعة، كان مكتب أبو فاضل يقبع في أحد الأبنية القديمة التي شهدت على تغيرات الزمان والمكان. كانت الليلة هادئة بشكل غريب، والمدينة تعيش في حالة من السكون المريب. الأضواء الخافتة في المكتب ألقت بظلالها على الجدران المزينة بالتحف الشرقية والكتب القديمة، لتخلق جوًا مشبعًا بالتاريخ والأسرار. كان الهواء داخل المكتب يثقل كاهل كل من يدخله، محملاً بأصداء قرارات اتخذت في الماضي، وأخرى توشك أن تُتخذ الآن.

وقف أبو فاضل بجانب نافذته الكبيرة المطلة على بغداد. كانت المدينة تبدو كبحر من الأضواء، تتلألأ في الظلام كنجوم صغيرة، ولكنها لم تكن أكثر من نقاط ضوء لا تعني له الكثير. عينيه، رغم مراقبتهما للمدينة، كانتا تركزان على شيء آخر، على حلم لم يعد بإمكانه تجاهله. كان الذهب، ذلك الكنز المدفون في قلب الجبل، هو ما يشغل تفكيره. لم يكن مجرد معدن أصفر بالنسبة له، بل كان رمزًا للقوة، للسيطرة، ولإثبات ذاته في عالم لا يرحم الضعفاء.

لم يكن طريقه للوصول إلى هذا المكان سهلاً. أبو فاضل كان رجلاً شق طريقه عبر دهاليز السياسة والسلطة، عاش ماضيًا مليئًا بالصراعات والانتصارات، لكنه أيضًا كان مليئًا بالخسائر التي حفرها الزمن على وجهه. خلف تلك العينين الحادتين كانت تكمن ذكريات لرجل كان يطمح لتحقيق العدالة، قبل أن يتحول ببطء إلى شخص يسعى للسيطرة بأي ثمن. تلك التحف التي تزين مكتبه لم تكن مجرد زينة، بل كانت تذكارات من معاركه القديمة، كل واحدة تحمل قصة، وكل قصة تحمل درسًا تعلمه بصعوبة.

جلس خلف مكتبه، وأخذ يحدق في الخريطة الضخمة التي كانت تغطي جداراً كاملا أمامه. كانت الخريطة مليئة بعلامات تظهر مواقع القوات والمواقع الاستراتيجية في جميع أنحاء البلاد، لكن عيناه كانتا مثبتتين على بقعة واحدة: الجبل الذهبي. لقد أصبحت هذه البقعة محور حياته، وكل ما تبقى له هو تحقيق ما لم يتمكن الآخرون من تحقيقه. كان يعرف أن المخاطر كبيرة، لكنه أيضًا كان يعرف أن التراجع يعني الفشل، والفشل لم يكن خياراً له.

بينما كان يفكر في خطوته التالية، دخل أحد مساعديه إلى المكتب حاملاً تقارير جديدة عن الأحداث الأخيرة في الموقع. قدمها لأبو فاضل بعينين قلقتين، حيث كان يعلم أن سيده لا يقبل الأخطاء، خاصة في هذا الوقت الحرج. أخذ أبو فاضل الأوراق، وبدأ يقرأها بعناية، عيناه تتنقلان بين الأسطر بسرعة، لكن عقله كان يفكر في أمور أعمق. كان يعلم أن هذه التقارير تحمل بين طياتها معلومات قيمة، لكنها لم تكن كافية لإيقافه.

"هل الجميع جاهزون؟" سأل أبو فاضل دون أن يرفع عينيه عن الأوراق.

أجابه مساعده بحذر: "نعم، سيدي. الرجال ينتظرون أوامرك. لكن... هناك تحذيرات متزايدة عن مخاطر التحرك الآن. البعض يقولون إن الطبيعة نفسها تحمي هذا الجبل".

توقف أبو فاضل عن القراءة ورفع عينيه ببطء لينظر إلى مساعده. "تحذيرات؟" قالها بلهجة مليئة بالسخرية. "هل نحن في عالم من الأساطير الآن؟ منذ متى كنا نأخذ التحذيرات بجدية؟"

ابتلع مساعده ريقه بصعوبة وقال: "نعم، سيدي. ولكن هناك علامات... زلازل صغيرة تحدث في المنطقة، وتحركات غير طبيعية في الصخور. الناس بدأوا يتحدثون عن قوى غامضة تحمي الجبل".

ابتسم أبو فاضل، لكن الابتسامة لم تصل إلى عينيه. كانت أكثر من مجرد ابتسامة، كانت تعبيرًا عن رجل لا يعرف الخوف ولا يلتفت إلى ما يسميه الآخرون بالخرافات. "القوى الغامضة؟ لن يكون هناك شيء غامض بعد اليوم. نحن نصنع مصيرنا، ولا ننتظر أن تحدده لنا الطبيعة".

وقف أبو فاضل، متوجهًا نحو مكتبه ليشعل سيجارًا فاخرًا كان موضوعًا بعناية في علبة فضية على الطاولة. أخذ نفسًا عميقًا ونفث الدخان ببطء،

وكأنه يرسم خطته القادمة في الهواء. كان يعرف أن ما يفعله ليس مجرد خطوة أخرى في لعبة السلطة، بل هو رهان كبير، رهان قد يغير كل شيء.

"اجمع الرجال هنا الليلة. لدي خطة، ولا أريد أن يضيع الوقت." قالها بحزم، وكأن القرار قد حُسم بالفعل.

خرج المساعد لتنفيذ أوامره، بينما عاد أبو فاضل إلى كرسيه. جلس في هدوء، لكنه لم يكن هدوء الراحة، بل هدوء العاصفة التي تسبق الانفجار. كان يعرف أن هذه الليلة ستكون حاسمة، وأن ما سيقرره الآن سيحدد مصير الكثيرين. أخذ ينظر إلى التحف القديمة حوله، تلك التحف التي كانت تذكره بحياته السابقة، حياة مليئة بالمعارك والتضحيات. كل قطعة كانت تحكي قصة، وكل قصة كانت تذكره بأن السلطة لا تمنح، بل تُنتزع. وأن الذهب، هذا الكنز الذي يسعى إليه، هو المفتاح للسيطرة التي طالما حلم بها.

بعد ساعات قليلة، بدأ المرتزقة يدخلون المكتب. رجال يحملون في ملامحهم قصص الحروب والمعارك، بعضهم يحمل ندوبًا تظهر على وجوههم، والبعض الآخر يخفيها تحت طبقات من الجلد القاسي. كانوا يعرفون أن أبو فاضل ليس رجلاً عاديًا، وأن العمل معه يعني المخاطرة، ولكن أيضًا يعني المكافأة. كل رجل منهم كان يحمل في داخله طموحات، بعضها ظاهر، وبعضها مدفون تحت ركام من التجارب المريرة.

وقف أبو فاضل أمامهم، كالجنرال الذي يستعد لإعطاء أوامره الأخيرة قبل المعركة. كان الجو في المكتب مشحونًا بالتوتر والترقب. "أيها الرجال، لقد اخترتكم لأنني أعرف أنكم الأفضل. نحن نقف الآن على عتبة تحقيق

ما لم يستطع أحد تحقيقه من قبل. الجبل الذهبي هناك، ونحن سنصل إليه مهما كلف الأمر".

كان صوته قويًا وحازمًا، يفيض بالإصرار والتحدي. "هذا ليس مجرد ذهب. إنه مفتاح للسيطرة، وسلاح يمكننا استخدامه لتغيير كل شيء. لكننا لن نحصل عليه إذا ترددنا. لن نحصل عليه إذا استمعنا إلى الخرافات والتحذيرات. نحن هنا لننجز المهمة".

أحد المرتزقة، رجل ذو وجه قاس مليء بالندوب، تقدم خطوة للأمام وقال: "سيدي، نحن هنا لتحقيق أهدافك. لكن يجب أن نعرف ما الذي نتعامل معه. الجميع يتحدث عن قوى تحمي الجبل. قوى لا يمكننا مواجهتها بالقوة وحدها".

لم يتردد أبو فاضل في الرد. "القوة وحدها لا تكفي، نعم. لكن العقل والحزم يمكن أن يتغلبا على أي شيء. نحن سنكون مجهزين بأفضل الأسلحة والمعدات. وسأكون معكم في كل خطوة. لن أسمح لأي قوة، سواء كانت طبيعية أو خارقة، أن تقف في طريقنا".

كان التوتر بين الرجال ملموسًا. كانت كلمات أبو فاضل تزيد من شعورهم بالتحدي، ولكنها أيضًا كانت تزرع في قلوبهم بذور القلق. كانوا يعرفون أن هذا الرجل قد دفعهم إلى ما هو أبعد من حدود العقلانية، لكنهم كانوا أيضًا يعرفون أن النجاح يعني الثروة والمجد، وأن الفشل يعني الهلاك.

"الخطة بسيطة،" قال أبو فاضل وهو يشير إلى الخريطة. "سنعمل على محورين. الأول هو السيطرة على الموقع. لا أريد أي تدخل من الخارج.

الثاني هو البدء فوراً في عمليات التنقيب. لا وقت للتردد، ولا مكان للخطأ".

بينما كان يتحدث، كانت الرياح تعصف في الخارج، وكأنها تعبر عن تحذير أو نذير بشيء قادم. لكن أبو فاضل لم يكن من النوع الذي يتراجع أمام الرياح أو العواصف. كان يرى في كل تحدٍ فرصة، وفي كل خطر إمكانية لتحقيق انتصار أكبر.

"سنبدأ التحرك مع أول ضوء للفجر. لن ننتظر، ولن نتردد. أنتم هنا لأنكم الأفضل، وأنا أثق بكم تمامًا. سنصل إلى قلب الجبل، وسنخرج منه كل ما يخبئه".

بينما كان الرجال يستعدون للمغادرة، كان أبو فاضل يتابعهم بعينيه. كان يعرف أن كل واحد منهم يحمل في داخله قوة كبيرة، وأنهم لن يترددوا في تنفيذ أوامره. لكنه كان أيضًا يعرف أن النجاح في هذه المهمة ليس مضمونًا. كان هناك الكثير من المجهول، والكثير من المخاطر التي لم يكشف عنها بعد.

بعد أن غادر الجميع المكتب، جلس أبو فاضل مرة أخرى خلف مكتبه. أشعل سيجاراً جديداً، وأخذ نفسًا عميقًا. كان يعرف أن الفجر سيحمل معه بداية جديدة، بداية قد تكون الأكثر جرأة في حياته. كان يشعر بأن هذا القرار قد يغير كل شيء، وأنه لن يكون هناك مجال للعودة.

ومع تلاشي الليل ببطء، بدأت عينيه تلمعان بشيء من الجنون، الجنون الذي يدفع الإنسان إلى المغامرة في مواجهة المجهول. كان يعلم أن الوقت قد حان لاتخاذ الخطوة التالية، وأنه مستعد لكل شيء.

أثناء تدخينه السيجار، كان يفكر في الأيام القادمة، وفي المخاطر التي سيواجهها، وفي النهاية التي ينتظرها. كان يعرف أن الرهان كبير، وأنه لا يمكن أن يتراجع الآن. كان الذهب هناك، ينتظره، وكل ما عليه فعله هو الوصول إليه.

ومع أول خيوط الفجر التي بدأت تتسلل عبر النوافذ، نهض أبو فاضل من مقعده. أطفأ سيجاره ونظر إلى المدينة مرة أخرى. "لن يوقفني شيء" همس لنفسه، وعزمه لا يتزعزع. فتح باب مكتبه وخرج، متجهًا نحو القدر الذي كان ينتظره. كانت الأضواء الخافتة تضيء الطريق أمامه، لكنه لم يكن بحاجة للضوء. كان يعرف طريقه جيدًا، وكان مستعدًا للسير فيه حتى النهاية، مهما كانت التضحيات.

وفي تلك اللحظة، شعر بأن كل شيء كان يتحرك في اتجاه واحد، نحو هدف واحد. كانت بغداد تغرق في صمت الليل، ولكن داخل مكتب أبو فاضل، كان هناك ضجيج من الأفكار والطموحات. كان يعلم أن هذا ليس مجرد سباق نحو الذهب، بل هو سباق نحو القوة والسيطرة. كان يعلم أن الذهب ليس الهدف الوحيد، بل هو وسيلة لتحقيق ما هو أكبر.

****

كان الصباح قد بدأ بالكاد يُشرق فوق الصحراء الشاسعة حيث يقع الجبل الذهبي، إلا أن الموقع كان بالفعل يعج بالنشاط. كانت القوات العسكرية منتشرة حول الجبل في تشكيلات محكمة، مركبات مدرعة تنتشر على طول الطرق المؤدية إلى الموقع، وجنود يقفون في مواقعهم بوجوه متجهمة وعزيمة واضحة. كانت الأوامر واضحة: منع أي محاولة لاستخراج الذهب بالقوة، حتى لو تطلب الأمر الدخول في صدام مسلح. كانت السماء رمادية، تعكس توتر الجو المشحون تحتها، وكأنها تستعد لشهداء شيء كبير قادم.

من جهة أخرى، كان أبو فاضل يراقب المشهد من بعيد من داخل مركبة عسكرية خاصة، عيناه تلمعان بعزم لا يتزعزع. كان قد أعد خطته بدقة، وجمع أفضل المرتزقة، مجهزاً إياهم بأحدث الأسلحة. كان يعلم أن المواجهة لن تكون سهلة، وأن القوات الحكومية لن تتهاون، لكنه كان مستعداً للدخول في المعركة. كان يؤمن بأن الذهب يستحق كل تضحية، وأن السيطرة عليه ستمنحه القوة التي لطالما سعى إليها.

في الوقت نفسه، كان حسام وديما يقفان في خيمة مراقبة قريبة من الموقع، يدرسان آخر التطورات والتقارير الواردة من الموقع. كان حسام يشعر بتوتر كبير، فقد بدأت الحقائق التي اكتشفها مؤخراً تأخذ منحىً أكثر خطورة مما كان يتصور. كان الجبل يحمل في طياته إشارات قديمة، رموز تحذر من مخاطر لا يمكن تصورها إذا تم استخراج الذهب بالقوة. كانت هذه الإشارات تشير إلى قوة قديمة، قوة لم تُفهم بعد، لكنها بلا شك تحمل تهديداً كبيراً.

"ديما، علينا أن نجد طريقة لإيقاف هذا الجنون"، قال حسام بصوت مليء بالقلق، وهو ينظر إلى الخرائط والنصوص القديمة التي كانت أمامه.

كانت هذه النصوص تحذر من كارثة وشيكة إذا تم المساس بالجبل. "الأمر ليس مجرد استخراج ذهب، هذا الجبل يحمل قوة قد تؤدي إلى تدمير شامل".

ديما، التي كانت تراقب الوضع بتركيز شديد، أومأت برأسها، لكن عيناها كانتا تحملان قلقًا أكبر. "حسام، لا أعتقد أن لديهم وقتًا كافيًا لفهم ما يحدث هنا. القوات تقترب، وأبو فاضل مصمم على المضي قدمًا. يجب أن نفعل شيئًا بسرعة".

في تلك اللحظة، دخل الشيخ حمدان إلى الخيمة. كان وجهه يعكس خبرة وحكمة العصور، وعيناه تحملان نظرة عميقة من القلق. "لقد رأيت شيئًا الليلة الماضية"، قال الشيخ حمدان بصوت هادئ لكنه مليء بالرهبة. "لقد ظهرت لي رؤى في المنام، رؤى لا تبشر بالخير. إذا استمر هذا الجنون، إذا أصروا على استخراج الذهب بالقوة، فإن الأرض نفسها ستنهار علينا".

كان كلام الشيخ حمدان كالصاعقة على حسام وديما. كانوا يعرفون أن الشيخ ليس من النوع الذي يتحدث عن رؤى بسهولة، وكانوا يعرفون أيضًا أن هذه الرؤى قد تكون تحذيرًا حقيقيًا من خطر داهم.

"علينا أن نوقفهم"، قال حسام بحزم، "لكن كيف؟"

في تلك الأثناء، كان أبو فاضل قد بدأ في تحريك قواته باتجاه الجبل. كانت المرتزقة، المدججة بالسلاح، تتحرك في تشكيلات محكمة، وكلهم يعرفون أن هذه المهمة قد تكون الأكثر خطورة في حياتهم. كانت الأوامر واضحة: التقدم نحو الجبل بأي ثمن، والسيطرة عليه مهما كانت العواقب. كانت أصوات المحركات تتعالى في الصحراء، لكن الصوت الذي كان يخيف الجميع هو الصمت القاتل الذي سبق العاصفة.

في موقع الجبل، كانت القوات العسكرية قد بدأت بالفعل في التحرك لمنع أي محاولة من قبل المرتزقة للاقتراب. كانت الأوامر واضحة: عدم السماح لأي شخص بالوصول إلى الجبل. كان الجميع يعرفون أن أي مواجهة هنا ستكون دامية، وأن المخاطر أكبر بكثير من مجرد صدام مسلح. كانت المنطقة بأكملها تحت تهديد كارثة قد تكون كارثة على مستوى البلاد بأكملها.

وبينما كانت القوات تستعد للمواجهة، بدأ الجبل نفسه يصدر اهتزازات خفيفة، كأن الأرض تحذر من خطر قادم. كانت هذه الاهتزازات تزيد من توتر الجنود والمرتزقة على حد سواء. بدأ البعض يشعر بأنهم ليسوا في مواجهة بعضهم البعض فقط، بل في مواجهة قوة أكبر، قوة لا يمكن التحكم بها.

حسام، الذي كان يراقب كل شيء من خيمته، شعر بالخطر المتزايد. كان يعلم أن الوقت ينفد، وأن عليهم التحرك بسرعة لمنع الكارثة. "علينا أن نخرج ونوقفهم بأنفسنا"، قال بحزم.

ردت ديما، التي كانت تفكر في كل الاحتمالات: "لكن كيف؟ لا أحد سيستمع إلينا في هذه الفوضى".

"علينا أن نحاول"، قال الشيخ حمدان، الذي كان قد بدأ يشعر بأن الأمور تخرج عن السيطرة. "إذا لم نفعل شيئًا الآن، فقد يكون الأوان قد فات".

بدأوا في التحرك نحو موقع الجبل، وكلهم يعلمون أن هذه الخطوة قد تكون خطيرة، ولكنهم كانوا يعلمون أيضًا أن الخطر الحقيقي يكمن في عدم التحرك. كانت الأرض تهتز تحت أقدامهم، وكأن الجبل نفسه كان يحاول تحذيرهم من الاقتراب.

في هذه الأثناء، بدأ أبو فاضل يعطي أوامره الأخيرة للمرتزقة. كان يعلم أن المواجهة وشيكة، لكنه لم يكن يخشى ذلك. كانت عيناه مليئتين بالعزم والإصرار، وكان يعرف أن اللحظة الحاسمة قد حانت. "تقدموا!" صرخ بأعلى صوته، وكأن صوته كان يحاول أن يخترق جدار الخوف الذي بدأ يتسلل إلى قلوب رجاله.

بدأت المرتزقة في التحرك بسرعة، لكنهم لم يكونوا مستعدين لما كان ينتظرهم. فجأة، بدأت الأرض تهتز بقوة أكبر، والصخور بدأت تتساقط من الجبل. كانت هذه التحركات كافية لزرع الرعب في قلوب البعض، لكن أبو فاضل لم يكن من النوع الذي يتراجع أمام الخطر.

في اللحظة التي بدأت فيها القوات العسكرية تطلق تحذيراتها، كان الأوان قد فات. بدأت الاشتباكات بين الطرفين، وبدأت الرصاصات تتطاير في الهواء. كانت الأصوات تتعالى، وأصوات الانفجارات تملأ الأرجاء. كان المكان قد تحول إلى ساحة معركة حقيقية، والجميع كان يقاتل من أجل السيطرة على الجبل.

لكن بينما كان الجميع منشغلين في القتال، بدأت إشارات غريبة تظهر على الجبل نفسه. كانت هناك أضواء غامضة تظهر وتختفي، وكأن الجبل كان يحاول التواصل مع العالم الخارجي. كانت هذه الأضواء تشير إلى شيء خطير، شيء قد يؤدي إلى كارثة إذا استمر الصراع.

في خضم الفوضى، كانت ديما وحسام يحاولان الوصول إلى مركز القيادة العسكرية لإيصال تحذيراتهم. كانوا يعرفون أن الوضع يتدهور بسرعة، وأن الكارثة قد تكون وشيكة. "علينا أن نجد قائد القوات العسكرية"، قال حسام بصوت يائس. "إنهم لا يعرفون ما الذي سيفعلونه".

وبينما كانوا يحاولون التقدم، شعروا بالأرض تهتز تحت أقدامهم مرة أخرى. كانت هذه المرة أقوى، وأكثر تخويفًا. كان الجبل يبدو وكأنه على وشك الانفجار، وكأن القوة التي كانت تحميه بدأت تستيقظ ببطء، لكنها الآن كانت غاضبة.

في تلك اللحظة، شعر أبو فاضل بنفس الخطر، لكنه رفض الاستسلام. "استمروا!" صرخ بأعلى صوته، محاولا السيطرة على الموقف. لكن كان هناك شيء في عينيه يعكس شكًا، شكًا لم يكن موجودًا من قبل. كانت الأرض تحت قدميه تشعره بأن الأمور لم تعد تحت سيطرته.

وفي خضم الصراع، بدأت الرؤى تظهر. كان حسام يرى صورًا غريبة تومض في عقله، صورًا لمستقبل مظلم. كانت هذه الصور تظهر مدنًا مدمرة، وأرضًا محترقة، وكأن الجبل كان يحاول إرسال رسالة واضحة: إذا استمر هذا الجنون، فإن الجميع سيدفعون الثمن.

بينما كانت الرؤى تجتاح عقل حسام كطوفان لا يرحم، كان يشعر بأنه لم يعد يملك السيطرة على أفكاره. كانت الصور التي يراها تظهر له مشاهد من الدمار والفوضى، وكأن الجبل الذهبي قد انفتح ليكشف عن جحيم مستتر تحت سطحه. رأى المدن تحترق، والأرض تتشقق، والسماء مظلمة كأنها غاضبة. كان كل شيء يشير إلى مستقبل قاتم إذا استمروا في هذا الطريق.

"ديما، يجب أن نوقفهم الآن!" صاح حسام بصوت متقطع، وهو يحاول التماسك وسط الرؤى التي تجتاح عقله. "هذا ليس مجرد ذهب. هناك شيء أكبر يحدث هنا".

ديما، التي كانت تشعر بحدة التوتر والخطر المتزايد، لم تكن تعلم ماذا يجب أن تفعل. كان عقلها يحاول أن يفهم الأحداث المتسارعة من حولها، لكنها كانت تدرك بوضوح أن هذه اللحظة قد تكون الفرصة الأخيرة لإيقاف الكارثة. "علينا أن نجد الشيخ حمدان"، قالت وهي تمسك بذراع حسام. "ربما يكون لديه إجابة لما يحدث".

في هذه الأثناء، كان الشيخ حمدان واقفًا على تلة صغيرة تطل على ساحة المعركة. كان يراقب بصمت بينما الجنود والمرتزقة يتبادلون النار بلا رحمة. لكن عيناه كانتا مركزة على الجبل، وكأنه يشعر بنبضاته، وكأنه يفهم لغة لا يستطيع الآخرون سماعها. كان يعلم أن الأمور تسير نحو منعطف خطير، وأن القوى التي تحكم الجبل بدأت تتحرك.

أخذ الشيخ نفسًا عميقًا، وبدأ في ترديد أدعية قديمة، كلمات ملأها التوسل والرجاء. كان يحاول أن يتواصل مع تلك القوة القديمة، أن يطلب منها الرحمة وأن تجنب الأرض الكارثة الوشيكة. لكن كان يعلم في قرارة نفسه أن الوقت قد يكون قد فات، وأن ما يحدث الآن قد يكون خارج نطاق قدرته على التحكم.

أبو فاضل، الذي كان يشاهد الاشتباكات تتصاعد، كان يعرف أن الأمور بدأت تخرج عن نطاق سيطرته. كانت القوات العسكرية أكثر تجهيزًا مما توقع، وكان المرتزقة بدأوا يتراجعون أمام النيران الكثيفة. لكن في داخله كان هناك شيء آخر يثير قلقه. لم يكن فقط فشل مهمته هو ما يخيفه، بل كان هناك شعور غريب يتسلل إلى قلبه، شعور بأنه قد أشعل فتيلا لا يستطيع أحد إطفاءه.

وبينما كان الصدام المسلح يحتدم، بدأت الأرض تحت أقدام الجميع تهتز بعنف. لم يكن هذا الاهتزاز عاديًا، كان يشبه زلزالا، لكنه كان ينبع من

قلب الجبل نفسه. كان الجبل وكأنه يستجيب للعنف الذي يدور حوله، وكأن تلك القوة القديمة التي تحميه قد قررت أن تتحرك.

في تلك اللحظة، ظهرت أضواء غريبة مرة أخرى، لكنها كانت هذه المرة أقوى وأكثر إشراقًا. كانت هذه الأضواء تخرج من شقوق الجبل، وكأنها تمثل قوة نائمة استيقظت أخيراً. بدأ الجنود والمرتزقة على حد سواء يشعرون بالخوف، بعضهم تراجع، والبعض الآخر توقف عن القتال، متعجبين من هذه الظاهرة التي لم يروها من قبل.

حسام، الذي كان يراقب كل شيء عن كثب، شعر بأن الوقت قد حان لفعل شيء ما. "ديما، علينا إيقافهم الآن! الجبل يحاول تحذيرنا".

في تلك اللحظة، قرر حسام أن يتحرك نحو قلب الجبل، حيث كانت الأضواء تخرج من الشقوق. كان يعلم أن هذه الخطوة قد تكون خطيرة، لكنها كانت الخيار الوحيد المتبقي. "سأذهب إلى هناك"، قال بحزم، وهو يوجه نظره نحو ديما والشيخ حمدان. "إذا كان هناك شيء يمكننا فعله لإيقاف هذا، فهو هناك".

ديما، التي كانت تشعر بالقلق والخوف على حسام، حاولت منعه. "حسام، هذا جنون! قد لا تعود أبداً".

لكن حسام كان قد اتخذ قراره. "إذا لم نحاول، فلن يكون هناك مستقبل لأي منا. يجب أن نعرف ما يحدث داخل الجبل".

بدأ حسام في التحرك نحو الجبل، متجاهلا أصوات الرصاص والانفجارات من حوله. كان يشعر بأن الجبل يناديه، وأنه يحمل الإجابة التي يبحث عنها. كان يتحرك بسرعة، وديما والشيخ حمدان يحاولان اللحاق به.

بينما كانوا يقتربون من قلب الجبل، بدأت الأضواء تزداد قوة، وكانت الهزات تصبح أكثر عنفًا . كان الجبل وكأنه يتنفس، وكأن الأرض نفسها بدأت تستجيب لصراع البشر على سطحها. كان كل شيء يوحي بأن كارثة وشيكة قد تحدث، وأن هذه اللحظة هي اللحظة الحاسمة.

في تلك الأثناء، كان أبو فاضل يشاهد حسام وديما والشيخ حمدان وهم يقتربون من الجبل. لم يكن يستطيع فهم ما يحدث، لكنه شعر بأن هناك شيئًا مهمًا يحدث. "ما الذي يفعلونه؟" تساءل بصوت عال، وهو يحاول تقييم الوضع. كان يعلم أن السيطرة على الجبل باتت شبه مًستحيلة، لكن فضوله لم يسمح له بالانسحاب.

بينما اقترب حسام ورفاقه من الجبل، بدأت الرؤى تعود إلى حسام بقوة أكبر. كانت الصور التي يراها الآن أكثر وضوحًا: الجبل ينفجر، المدن تتحول إلى رماد، والناس يفرون بحثًا عن النجاة. كانت هذه الرؤى تشبه نبوءة، تحذيرًا أخيرًا من الكارثة التي ستحدث إذا استمروا في هذا الطريق.

وصل حسام إلى مكان الشقوق التي كانت تنبعث منها الأضواء. كان المكان يبدو وكأنه باب إلى عالم آخر، عالم لم يعرفه البشر من قبل. "هناك شيء هنا"، قال حسام بصوت مبحوح. "شيء يحاول تحذيرنا، أو ربما منعنا من التقدم".

الشيخ حمدان، الذي كان يقف بجانب حسام، شعر بقوة هذه اللحظة. "هذه الأضواء، هذه الرؤى... إنها ليست مجرد خرافات. هذا الجبل يحمل في داخله أسرارًا قديمة، أسرارًا لا يجب أن نعبث بها".

لكن الوقت كان ينفد. كانت القوات والمرتزقة لا تزال تتبادل النيران، والأرض كانت تهتز بشكل متزايد. شعر الجميع بأن الجبل كان على

وشك الانفجار، وأن هذه اللحظة قد تكون الأخيرة. كان القرار بيد حسام ورفاقه: إما التراجع وإنقاذ ما يمكن إنقاذه، أو المضي قدمًا واكتشاف ما يحمله الجبل، مهما كانت العواقب.

أخذ حسام نفسًا عميقًا، ونظر إلى ديما والشيخ حمدان. "علينا أن نخبرهم. علينا أن نحذر الجميع قبل فوات الأوان".

لكن في اللحظة التي بدأ فيها حسام بالتحرك نحو القوات ليبلغهم، حدث ما لم يكن في الحسبان. بدأ الجبل ينهار تدريجيًا، والصخور تتساقط من كل مكان. كانت هذه الهزات ليست مجرد زلزال، بل كانت تعبيراً عن غضب الأرض نفسها. كان الجبل وكأنه يحاول الدفاع عن نفسه، وكأن القوة التي تحميه قررت أن تأخذ الأمور بيدها.

في تلك اللحظة الحاسمة، بدأ الجميع يشعر بأنهم جزء من شيء أكبر منهم. كانت القوى التي تحكم الجبل تتحرك، والجميع كانوا مجرد بيادق في لعبة أكبر. كان القرار الذي سيُتخذ في هذه اللحظة سيحدد مصير الجميع.

لكن قبل أن يتمكن حسام من الوصول إلى القوات العسكرية لتحذيرهم، كانت الأرض قد بدأت تفتح تحت أقدامهم. كانت هذه اللحظة تشبه نهاية العالم، لحظة من الفوضى والدمار حيث لم يعد هناك مكان للهرب. كانت الأضواء الغريبة تزداد قوة، وكأنها تحاول التواصل مع شيء أو شخص ما.

في تلك اللحظة العصيبة، حيث كانت الأرض تفتح أبواب الجحيم تحت أقدام الجميع، بدأ أبو فاضل يشعر برعب لم يعرفه من قبل. كانت هذه القوة الغامضة، التي لطالما سخر منها، قد بدأت تستعرض نفسها بوضوح مرعب. كان الجبل الذهبي، الذي لطالما طمع فيه، يتحول أمام عينيه إلى شيء آخر، شيء خارج عن فهم البشر.

حسام، الذي كان يسابق الزمن للوصول إلى القوات العسكرية، شعر بتلك الهزة العنيفة تحت قدميه. كانت الصخور تسقط من كل جانب، والأرض تتصدع بعنف، وكأنها تحتضر تحت وطأة القوة التي استيقظت بداخل الجبل. "تراجعوا!" صاح بأعلى صوته، محاولا جذب انتباه الجنود والمرتزقة الذين كانوا لا يزالون يتبادلون النار في حيرة.

لكن قبل أن يتمكن من الوصول إليهم، ظهرت فجأة أمامه رؤيا جديدة، لكنها كانت هذه المرة أقوى وأشد وضوحًا من أي رؤيا رآها من قبل. رأى نفسه محاصراً داخل غرفة مظلمة، حيث كانت الأرض تحت قدميه تتشقق، والسماء فوقه تتحول إلى رماد. كان الهواء مشبعًا برائحة الموت، ورأى مدنًا محترقة، وأطفالا يبكون، وسماءً لا تضيء إلا بألوان النار.

أفاق حسام من رؤياه ليجد نفسه متشبثًا بصخرة كبيرة، محاولا الحفاظ على توازنه. كان كل شيء من حوله ينهار، وكأن الجبل قرر أن يبتلع كل من يحاول المساس به. كان يعلم أن الوقت ينفد، وأن عليهم التحرك بسرعة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

الشيخ حمدان، الذي كان يقف بجانبه، شعر هو الآخر بالقوة التي تحرك الجبل. "لقد حذرونا، ولم نستمع. هذه هي العواقب." قالها بصوت مملوء بالأسى، وكأن كل حكمة السنين التي عاشها لم تكن كافية لإنقاذهم من هذا المصير.

ديما، التي كانت تشاهد المشهد في حالة من الصدمة، لم تستطع أن تتحرك. كانت تشعر بأن كل شيء ينهار من حولها، وكان الخوف يسيطر على قلبها. "حسام، ماذا سنفعل؟" صرخت وهي تحاول أن تجد مخرجًا من هذا الجحيم.

حسام، الذي كان يشعر بثقل المسؤولية على كتفيه، أدرك أنه لم يعد هناك وقت للتردد. "علينا أن نوقف هذا بأي ثمن. إذا استمرينا، فسندمر كل شيء".

في تلك اللحظة، قرر أبو فاضل، الذي كان يشاهد المشهد من مسافة آمنة نسبيًا، أنه لا يمكن أن يستسلم بهذه السهولة. لم يكن هذا الرجل قد خاض معاركه السابقة ليتراجع الآن. "تقدموا!" صرخ بأوامره للمرتزقة، وهو يحاول بشدة أن يظهر أي بادرة خوف.

لكن المرتزقة، الذين كانوا يواجهون قوة لا يمكن مواجهتها بالسلاح، بدأوا يشعرون بالخوف الحقيقي. كانوا يواجهون شيئًا أكبر من قوة البشر، وكان البعض منهم يتراجع بالفعل، بينما حاول آخرون الفرار من هذا المصير الغامض.

وبينما كانت الأمور تتدهور بسرعة، قرر حسام أنه لا يوجد حل آخر سوى محاولة التحدث إلى القوات العسكرية مباشرة. كان يعلم أن عليهم الانسحاب فوراً، وأن أي محاولة أخرى للتقدم نحو الجبل ستؤدي إلى كارثة لا يمكن تجنبها.

ركض حسام باتجاه مركز القيادة العسكرية، وهو يصيح بأعلى صوته: "تراجعوا! يجب أن تنسحبوا الآن"!

في البداية، لم يتمكن الجنود من سماع صرخاته وسط الفوضى العارمة، لكن عندما اقترب منهم وأمسك بأحد الضباط، بدأوا يفهمون أن شيئًا خطيراً يحدث. "الجبل سينهار! عليكم الانسحاب فوراً!" كان صوته محملاً بالخوف والإلحاح.

الضابط، الذي كان يرى المشهد المرعب بنفسه، أدرك أن الوقت قد نفد بالفعل. "انسحاب!" صرخ بأمره للجنود، وهو يحاول الحفاظ على رباطة جأشه. بدأت القوات في التراجع بشكل منظم، لكن الوضع كان يزداد سوءًا بسرعة.

في الوقت نفسه، كان أبو فاضل لا يزال يأمر رجاله بالتقدم، لكن الرعب قد سيطر على قلوبهم. كانوا يعرفون أن هذه المعركة قد خسرت، وأنهم يواجهون قوة لا يمكنهم التغلب عليها. بدأوا في التراجع بأنفسهم، محاولين الفرار من الجحيم الذي فتح أبوابه أمامهم.

لكن قبل أن يتمكن أي منهم من الهرب، وقع الانفجار الكبير. كان صوت الانفجار مدويًا، وكأنه صوت الأرض نفسها وهي تصرخ من الألم. كان الجبل قد قرر أخيراً أن ينفجر، وأن يأخذ معه كل من حاول العبث به. الصخور كانت تتطاير في الهواء، والأرض كانت تتفكك تحت أقدام الجميع.

في تلك اللحظة، أدرك الجميع أن الأمر قد انتهى. كانت الكارثة التي حذر منها حسام والشيخ حمدان قد وقعت بالفعل. كانت القوة القديمة التي حمت الجبل قد تحركت، وكان الجميع يدفعون ثمن الطمع والجهل.

بدأ الجميع في الهروب، لكن الهرب كان شبه مستحيل. الصخور كانت تسقط من كل جانب، والأرض كانت تتشقق تحت أقدامهم. كان الجميع

يصرخون، يحاولون النجاة بأرواحهم، لكن القليل منهم فقط كان قادراً على الهرب من هذا الجحيم.

حسام، الذي كان يحاول مساعدة ديما والشيخ حمدان، شعر بأنهم على وشك الانهيار. كانت الهزات الأرضية تزداد قوة، وكانت الصخور تتساقط بالقرب منهم. لكنه كان مصممًا على الخروج من هذا الجحيم، على الرغم من أن الرؤى التي رآها جعلته يشعر بأنه قد يكون الأوان قد فات.

لكن في لحظة يأس مطلق، حدث شيء غير متوقع. بدأت الأضواء الغريبة التي كانت تخرج من شقوق الجبل تزداد قوة بشكل هائل، لكنها هذه المرة لم تكن مخيفة. كانت تملأ السماء بألوان لم يرها أحد من قبل، وكأنها تحاول إرسال رسالة أخيرة. كانت تلك الأضواء تبعث شعوراً غريبًا في قلوب الجميع، شعوراً بالأمل والرهبة في آن واحد.

في تلك اللحظة، أدرك حسام ورفاقه أن الجبل لم يكن مجرد مكان يحمل ثروة مادية. كان يحمل في داخله شيئًا أكبر بكثير، شيئًا لا يمكن للبشر أن يفهموه أو يتحكموا فيه. كانت تلك الأضواء هي الطريقة الأخيرة للجبل لإيصال رسالته: أن هناك قوى في هذا العالم لا يمكن تحديها أو استغلالها بدون عواقب.

وبينما كانوا يشاهدون هذا المشهد الأخير، شعر الجميع بأن الوقت قد حان للتراجع. كان الجبل قد أظهر قوته، وكان الجميع قد فهموا الرسالة. لم يعد هناك مكان للطمع أو للجهل، كان هناك فقط الرهبة والاحترام لتلك القوى التي تحكم هذا العالم.

في النهاية، تمكن القليل منهم من الهرب، بينما دفن الباقون تحت ركام الجبل الذي انهار بالكامل. كانت الأرض قد استقرت أخيراً، وكان الجبل قد عاد إلى حالة من السكون، لكن لم يكن هذا السكون يعبر عن هدوء، بل عن نهاية مرعبة لرحلة مليئة بالطمع والجهل.

وفي النهاية، عندما تلاشت الأضواء واختفى الدخان، كان الجبل الذهبي قد أصبح ذكرى، ذكرى لدرس لن ينساه أحد. كان قد أظهر للعالم أن هناك حدوداً يجب على البشر ألا يتجاوزوها، وأن الطمع لا يجلب إلا الدمار.

وقف حسام وديما والشيخ حمدان على أطراف الجبل المنهار، ينظرون إلى ما تبقى من هذا المكان الذي كان يحمل في داخله سراً قديمًا. لم يكن هناك كلام يمكن أن يعبر عن مشاعرهم، فقط الصمت والرهبة. كانوا يعرفون أن العالم لن يكون كما كان من قبل، وأن ما حدث هنا سيظل محفوراً في ذاكرتهم إلى الأبد.

****

كانت شمس بغداد تميل نحو الغروب، تلون السماء بألوان البرتقالي والأحمر، وكأنها تنذر بنهاية يوم طويل وشاق. لكن بالنسبة لحسام، كان هذا اليوم يمثل نهاية فصل مهم من حياته، وربما بداية فصل جديد. عاد حسام إلى المدينة التي لطالما كانت موطنه، لكنه عاد الآن محملا بثقل ما شهدته عينيه وما عاشه في الأسابيع الأخيرة. كانت بغداد، بكل ضجيجها المعتاد وحركتها الدائمة، تبدو له وكأنها تعيش في عالم مختلف، عالم لم يمسّه الهول الذي شهده هو ورفاقه عند الجبل.

كان حسام يقف على شرفة منزله القديم، الذي احتفظ به رغم تنقله الكثير بسبب عمله كعالم وباحث. الهواء الدافئ كان يمر ببطء، محملا بذكريات لا تزال حية في ذهنه. كان يتأمل في ما حدث، في كل تلك القوى الغامضة التي رأى تجلياتها بنفسه. كانت تلك التجربة قد غيّرت نظرته للعالم بشكل جذري. لم يعد يرى الأشياء بنفس الطريقة التي كان يراها بها من قبل. الأساطير التي كان يعتبرها مجرد خرافات، بدأت تأخذ مكانة جديدة في عقله. كان يدرك الآن أن هناك ما هو أبعد من العلم والمنطق، أن هناك قوى خفية تتحكم في مجرى الأمور، وأن تلك الأساطير القديمة تحمل في طياتها حكمة قديمة، قد تكون أكثر صدقًا من أي شيء آخر.

في تلك اللحظات، شعر حسام بوجود ديما بجانبه. كانت قد وصلت منذ دقائق قليلة، بعد أن أمضت الأيام الأخيرة في مراجعة كل ما حدث وجمع الأدلة التي ستساعدهم في نشر القصة. كانت ديما، التي بدأت حياتها كمراسلة تبحث عن الحقيقة، تشعر الآن بأنها أمام مهمة أكبر من مجرد تحقيق صحفي. كان هذا الكشف يحمل أهمية عالمية، وربما أكثر من ذلك، كان يحمل رسالة يجب أن تصل إلى الجميع.

"حسام، هل أنت متأكد من قرارك؟" سألت ديما بصوت هادئ، لكن كلماتها كانت تحمل ثقل القرار الذي سيؤثر على حياتهما إلى الأبد. كانا يقفان على عتبة نشر القصة التي قد تغير نظرة العالم للأشياء، لكنهما كانا يعلمان أيضًا أن هذا قد يجلب لهما العديد من المتاعب.

نظر حسام إليها، وعيناه تحملان شجاعة ووضوحًا لم يكن لديهما من قبل. "نعم، ديما. يجب أن يعرف العالم ما حدث. يجب أن نفهم أن الجشع قد يدمرنا جميعًا، وأن الأساطير القديمة قد تكون أكثر من مجرد حكايات تُروى للأطفال. لقد رأينا بأعيننا قوة تلك الأساطير، ورأينا ما يمكن أن تفعله إذا حاولنا تحديها".

كانت ديما تفكر في كل ما مروا به: الكارثة، الانفجارات، الانهيارات، والأضواء الغريبة التي شاهدتها وهي تخرج من الجبل. كانت تعلم أن هذه القصة ليست فقط عن الذهب، بل هي عن شيء أكبر من ذلك بكثير. "العالم بحاجة إلى هذه القصة، حسام. ولكن هل تعتقد أنهم سيفهمون الرسالة؟"

هز حسام رأسه ببطء. "لا أعرف، ولكن يجب أن نحاول. إذا لم ننشر القصة، فإننا نكون قد خاننا كل ما اكتشفناه. يجب أن يعرف الناس أن هناك حدودًا يجب أن نحترمها، وأن الأساطير القديمة ليست مجرد خرافات".

في تلك اللحظة، أخذ حسام نفسًا عميقًا، وكأنه يستعد لما سيأتي. كان يعلم أن نشر هذه القصة سيغير حياته، وربما يضعه في مواجهة قوى أكبر مما يمكنه تخيله. لكن كان لديه شعور داخلي بأن هذه هي الطريقة الوحيدة لمنع تكرار ما حدث. "علينا أن نخبر القصة كما هي، بكل تفاصيلها.

العالم بحاجة إلى أن يفهم أننا لسنا وحدنا في هذا الكون، وأن هناك قوى أكبر منا بكثير".

ديما، التي كانت تشعر بنفس القلق، أومأت برأسها. "سأبدأ في كتابة القصة، وسنحاول نشرها بأسرع وقت ممكن. ولكن، ماذا لو كان هناك من يحاول إيقافنا؟"

كانت تلك المخاوف حقيقية، وكانت ديما تعلم أن الكثيرين قد يحاولون إسكاتهم، لكن حسام كان مصممًا على المضي قدمًا. "إذا حاولوا إيقافنا، فهذا يعني أنهم يعرفون أكثر مما نظن. ولكن لا يهمني، يجب أن نكون شجعانًا، يجب أن نكون صادقين مع أنفسنا ومع العالم".

وبينما كانا يتحدثان، بدأت الأفكار تتقاطع في ذهن حسام. كان يتذكر تفاصيل تلك الرحلة الغريبة إلى قلب الجبل، وكيف كانت كل خطوة تقربه من شيء أكبر من أي اكتشاف علمي. كان يعرف الآن أن الأساطير القديمة تحمل في طياتها حقائق يمكن أن تهز أسس العلم نفسه، وأن تلك الحقائق كانت موجودة منذ بداية الزمن، تنتظر فقط من يكتشفها.

"ديما، لا يتعلق الأمر فقط بالجبل أو الذهب، بل يتعلق بما يعنيه هذا كله. إن الأساطير والعلم ليسا متناقضين كما كنا نظن، بل هما وجهان لعملة واحدة. ربما كنا نبحث عن الحقيقة في الأماكن الخاطئة طوال الوقت".

"أنت محق، حسام. ولكن السؤال هو: هل سيستمع الناس؟"

ابتسم حسام ابتسامة حزينة. "لا نعرف. ولكننا على الأقل سنكون قد فعلنا ما بوسعنا. دعونا نترك القصة تتحدث عن نفسها. قد يكون هناك من يفهم الرسالة، وقد يكون هناك من يتجاهلها، لكن الأهم هو أن نحاول".

بينما كانت ديما تفتح حاسوبها وتبدأ في كتابة القصة، كان حسام يشعر بأن هذه الخطوة ستكون الأولى في رحلة جديدة، رحلة قد تأخذهم إلى أماكن لم يتوقعوا أبدًا الذهاب إليها. كانت الكلمات تتدفق بسلاسة، وكأنها كانت تنتظر اللحظة المناسبة للخروج إلى النور. كان هناك شيء غريب يحدث، شيء أشبه بالقوى التي شعروا بها عند الجبل. كان الأمر وكأن القصة كانت تكتب نفسها، وكأن تلك القوى القديمة كانت ترغب في أن تُروى القصة.

بينما كانت ديما تكتب، كان حسام يتجول في شرفة المنزل، عيناه متعلقتان بالمدينة التي بدأت تغرق في الظلام. كانت بغداد، بكل تاريخها وأسرارها، تبدو له الآن وكأنها تحمل جزءًا من تلك القوى التي واجهوها. كان يتساءل عما إذا كانت هناك أماكن أخرى في هذا العالم تحمل نفس الأسرار، أماكن لم تُكتشف بعد.

"ديما، هل فكرت يومًا في أن ما واجهناه قد لا يكون الوحيد من نوعه؟" سأل حسام، وهوَ يشعر بأن هناك شيء ما يحاول أن يخرج إلى السطح، شيء لم يكن قد فكر فيه من قبل.

ديما توقفت عن الكتابة، ونظرت إلى حسام بعينين مليئتين بالتفكير. "ماذا تعني؟"

"أعني، ماذا لو كان هناك أماكن أخرى في هذا العالم تحمل نفس الأسرار؟ أماكن لم تُكتشف بعد، لكنها تحمل نفس القوة التي واجهناها. ربما يكون ما حدث هنا مجرد بداية، مجرد إشارة إلى أن هناك المزيد".

كانت الفكرة تثير القلق والإثارة في آن واحد. "أنت تعتقد أن هناك مواقع أخرى مثل الجبل؟"

"ربما. لا أعتقد أن الجبل كان فريداً من نوعه. العالم مليء بالأسرار، وربما نحن فقط قد بدأنا نفهم القليل منها. ماذا لو كانت هناك حضارات قديمة أخرى تركت وراءها أسراراً مثل تلك التي وجدناها؟ ماذا لو كانت الأساطير التي نعرفها تحمل في طياتها حقائق لم نكتشفها بعد؟"

كانت ديما تشعر بأنهم يقتربون من شيء أكبر. "إذا كان هذا صحيحًا، فإن ما نفعله الآن سيكون له تأثير أكبر مما نتصور. إذا كانت هناك مواقع أخرى، فإن نشر هذه القصة قد يكون الخطوة الأولى نحو اكتشافها".

"بالضبط. وإذا لم ننشر القصة، قد يكون هناك من يحاول استغلال تلك الأسرار كما حاولوا هنا. قد نكون قد أوقفنا كارثة هنا، لكن من سيوقفها في أماكن أخرى؟"

كان حسام يشعر بثقل المسؤولية يتزايد على كتفيه. لم يعد الأمر مجرد نشر قصة، بل أصبح محاولة لإنقاذ العالم من خطر قد يكون أكبر مما واجهوه. كان يعلم أن هذا الأمر قد يأخذهم إلى رحلة جديدة، لكنهم كانوا مستعدين للمضي قدمًا.

"لن يكون الأمر سهلا،" قالت ديما وهي تعود للكتابة. "لكنني أعتقد أننا نعرف ما يجب علينا فعله. سنحكي القصة، وسندع الناس يقررون بأنفسهم. سنحذرهم من الجشع، وسندعوهم للتفكير في القوى التي تتحكم في هذا العالم".

كان حسام يعرف أن الطريق أمامهم لن يكون سهلاً، لكنهم كانوا على استعداد للمضي قدمًا. "سنخبر العالم بما حدث، وسنترك لهم الخيار في كيف سيتصرفون. لكننا سنكون قد فعلنا ما بوسعنا".

بينما كانت ديما تواصل كتابة القصة، كانت تشعر بأن هذه اللحظة ستكون لحظة تاريخية. كانوا يكتبون كلمات قد تغير مسار التاريخ، كلمات قد تنقذ أرواحًا، أو قد تفتح أبوابًا لمغامرات جديدة. كان كل حرف يكتبهما يمثل خطوة نحو مستقبل لم يكن معروفًا بعد.

بينما كانت الكلمات تتدفق، كان حسام يشعر بأن هناك قوى خفية تراقبهم، قوى كانت تنتظر هذه اللحظة منذ زمن طويل. كانت تلك القوى تشعر بالارتياح، وكأنها أخيرًا وجدت من يستمع لها، من يحكي قصتها للعالم.

بعد ساعات من الكتابة، كانت القصة جاهزة للنشر. كان حسام وديما ينظران إلى الشاشة، وكأنهما يقرآن كلمات قد كتبت من قبل، لكنهما كانا يعرفان أن هذه الكلمات ستكون بداية لشيء أكبر. كانت القصة تحمل تحذيرًا ورسالة، وكانت تلك الرسالة موجهة للعالم بأسره.

"هل أنت مستعد؟" سألت ديما وهي تضع يدها على زر الإرسال.

"نعم، دعينا نفعلها." أجاب حسام بحزم.

وفي لحظة واحدة، كانت القصة قد انتشرت. كانت الكلمات قد خرجت إلى العالم، تحمل معها الأسرار القديمة والتحذيرات من المستقبل. كانت تلك القصة بداية لشيء جديد، شيء قد يغير نظرة العالم إلى الأساطير والعلم.

بينما كان حسام وديما يشاهدان القصة تنتشر، كانا يعرفان أن هذا ليس النهاية، بل هو بداية لرحلة جديدة. كانوا قد بدأوا بفهم القوى التي تتحكم في هذا العالم، لكنهم كانوا يعرفون أن هناك الكثير من الأشياء التي لم تُكتشف بعد.

على ضفاف نهر الفرات، كانت الشمس تميل نحو الأفق، تنشر أشعتها الذهبية على مياه النهر الذي كان يستعيد بهدوء مجراه الطبيعي. كان المكان يبدو وكأنه يستعد لاستقبال الليل بعد يوم طويل من التغيرات الجذرية. كان الهواء مشبعًا برائحة الطمي والمياه العذبة، والأمواج الصغيرة تتلاعب بضوء الشمس الوداعية، مما يعطي المشهد سحرًا خاصًا.

كان الشيخ حمدان يقف على تلة صغيرة تطل على النهر، ينظر إلى المكان الذي كان يقبع فيه الجبل الذهبي قبل أسابيع قليلة. كانت عيناه تحملان تعبيرًا معقدًا، مزيجًا من الحزن والتأمل. كان يعرف أن ما حدث هنا لن ينسى بسهولة، وأن هذا المكان سيظل محفورًا في ذاكرة الأجيال القادمة كرمز للغموض والقوة الطبيعية التي لا يستطيع الإنسان السيطرة عليها.

أفراد قبيلته كانوا يقفون على مقربة منه، صامتين، يشاهدون النهر وهو يعود إلى مجراه. كانت وجوههم تحمل ملامح الارتياح المشوب بالحذر، وكأنهم يشعرون بأن هذه اللحظة تمثل نهاية مرحلة وبداية أخرى. كانت المياه تتدفق ببطء، تغمر المكان الذي كان يشهد قبل أيام قليلة فقط على أحداث عصيبة ومواجهات غير مسبوقة. الأرض التي كانت تحت أقدامهم قد بدأت تلتئم، والصخور التي كانت متناثرة حول الجبل قد انحسرت تحت سطح النهر، وكأن الطبيعة نفسها تحاول إخفاء آثار ما حدث.

نظر الشيخ حمدان إلى السماء، التي كانت تتلون بألوان الشفق، ثم إلى النهر الذي كان يجري بهدوء. كان يشعر بأن هذا النهر قد شهد الكثير على مر العصور، وأنه سيظل يشهد على المزيد في المستقبل. "الفرات يعود إلى ما كان عليه، لكن الجبل لن يعود أبدًا"، قال بصوت خافت، وكأنه يخاطب نفسه أو يتحدث إلى الأرواح التي كانت تحوم حول هذا المكان.

كان يعرف أن ما حدث هنا لن يُروى كما هو، وأن الأساطير ستتداخل مع الحقائق، وأن الأجيال القادمة ستسمع عن الجبل الذهبي وعن الكارثة التي وقعت، ولكنها لن تعرف الحقيقة كاملة. كان الجبل قد ذهب، لكن الغموض الذي أحاط به لم يختف. ربما ستبقى الأساطير، وربما سيظل الناس يتحدثون عن كنوز مخفية تحَت سطح الفرات، أو عن قوى غامضة تحمي الأرض من طمع البشر.

بينما كانت الشمس تختفي ببطء خلف الأفق، تاركة وراءها سماء مضاءة بلون برتقالي دافئ، بدأت المياه تغمر الأرض بالكامل. كانت الأرض تمتص الماء كعطشان وجد بئرًا بعد طول انتظار، وكأنها تريد أن تغسل كل الذكريات المؤلمة، كل الدمار الذي شهده هذا المكان.

الشيخ حمدان، الذي عاش حياته بين هذه الأرض والماء، كان يعرف أن الفرات لم يكن مجرد نهر. كان رمزًا للحياة، للتجدد، وللغموض. كان يعلم أن النهر قد يحمل في أعماقه أسرارًا أخرى، أسرارًا لم تُكتشف بعد، وربما لن تُكتشف أبدًا. "لن يُعرف الجبل إلا كذكرى، كحكاية تُروى في ليالي الشتاء الطويلة"، قالها بنبرة هادئة، وعيناه تراقبان المياه التي كانت تتدفق بهدوء.

كان أفراد القبيلة يشعرون بتلك الرهبة الصامتة التي كانت تحيط بالمكان. كان بعضهم يتساءل عما إذا كان الجبل سيظهر مرة أخرى، في يوم من الأيام، أو ربما في مكان آخر. كانوا يعرفون أن التاريخ يعيد نفسه، وأن ما حدث هنا قد يتكرر في مكان آخر، في زمان آخر. كانوا يعلمون أن هذه اللحظة لن تكون النهاية، بل هي جزء من دورة طبيعية لا نهاية لها.

ومع انتهاء اليوم، واستعداد الجميع للرحيل، شعر الشيخ حمدان بأن هناك شيئًا آخر يريد أن يقوله، لكن الكلمات لم تسعفه. ربما كان يريد أن

يحذرهم، أن يخبرهم بأن هذا المكان سيظل محاطًا بالغموض، وأن الجبل الذهبي لم يكن سوى جزء صغير من قصة أكبر. لكن كل ما فعله هو أنه أدار ظهره للنهر، وبدأ يسير ببطء نحو القبيلة.

كان الجميع يسيرون خلفه، متجهين نحو الخيام التي نُصبت على بعد قليل من النهر. كانوا يعرفون أن هذه الأرض ستظل تحمل ذكرى الجبل، لكنها ستظل أيضًا رمزًا للتجدد والحياة. كانوا يعرفون أن النهر سيستمر في جريانه، وأن المياه ستظل تجلب الحياة للحقول والأشجار، ولكنهم كانوا يشعرون بأن شيئًا قد تغير إلى الأبد.

ومع كل خطوة كانوا يبتعدون بها عن النهر، كانوا يشعرون بأنهم يتركون وراءهم جزءًا من أنفسهم، جزءًا من حكاية لن تُنسى. كان الجبل قد اختفى، لكن آثاره ستظل حية في ذاكرتهم، وستظل جزءًا من تاريخهم.

عندما وصلوا إلى الخيام، توقف الشيخ حمدان وألقى نظرة أخيرة على النهر. كانت المياه تلمع تحت ضوء القمر، وكأنها تعكس كل الأحلام والذكريات التي كانت تدور في ذهنه. "سنروي الحكاية، ولكن لن نعرف أبدًا كل الحقيقة"، قالها بصوت هادئ، ثم استدار ودخل خيمته.

ومع دخول الليل، غرق المكان في صمت عميق. كان النهر يجري بهدوء، وكأنه يروي حكاية قديمة، حكاية لن تُروى بالكامل أبدًا. ربما ستظل الأجيال القادمة تبحث عن إجابات، وربما ستظل الأساطير تُروى، ولكن الجبل الذهبي سيظل لغزًا، وسيظل جزءًا من عالم لا يمكن للإنسان أن يفهمه بالكامل.

انتهت